الفصل الخامس عشر

رغبة غليوم الثاني في زيارة باريس وآراء الفرنسويين فيها

لما اشتركت المانيا بمعرض ١٩٠٠ كتبت جريدة الفيغارو فصلاً قالت فيه : « مادامت المانيا قد اشتركت بمعرض باريز رسمياً فلا نرى كيف يمكن منع الامبراطور غليوم من الاتيان الى باريز بهذه المناسبة ، ولو اقتضى الامر اتخاذ أشد التحوطات لحمايته وكفايته شر الارذال والحمق » . ولكن لم يكد هذا الفصل ينتشر حتى قامت على الفيغارو قيامة الصحف الفرنسوية الاخرى متهمة اياها بضعف الوطنية .

وانتهزت جريدة الغولوى الفرصة السانحة فاستنزلت كبار الساسة والكتاب آراءهم في هذا الصدد وهذا بعض ما وردها :

أما مدام جوليت أدَم الكاتبة الشهيرة — وهي اول من نبه حكومة فرنسا الى خطر ابقاء الحدود البلجية غير مستوفية أسباب التحصين — والتي دعاها الوزير لوكروى في احدى الليالي الراقصة الرسمية « وزيرة خارجيتنا المقبلة » فانها قالت : ان غليوم الاول قد غلبنا ولكنه لم يبتذل شرفنا بل بالعكس نعتنا بلفظة « شجعان » أما غليوم الثاني فقد جعل نصب عينيه غرضاً واحداً ألا وهو أن يلبسنا ثوب الخزي والعار . . . لان ابتساماته لنا ورقته المتناهية لا تخلو من معنى التشهير بنا والحط من كرامتنا لانها مسبوقة على الدوام بعبارات التفاخر بانكساراتنا السابقة ومتبوعة بعبارات التهديد في المستقبل . . . وان مجيء غليوم الثاني الى باريز ليجعل باريز والشعب الفرنسوي كله هزءاً وسخرية للعالم أجمع . ويصبح مثلنا مثل المغلوبين على أمرهم الذين تقع أبصارنا عليهم فنرثي لهم بقولنا : مساكين . . .

وكتب موريس بارّيس الشهير اذا وجد الامبراطور غليوم في باريز فلا مندوحة له عن أن يُرجم . على ان من موجبات الأسف أن يحصل مثل هذا الامر . ولكن أدعى الى الأسف أن لا يحصل . . . فعلى رجال سياستنا اذن مجانبة هذه الحالة .

نعم ان جد الامبراطور غليوم جاء باريز من غير دعوة ولكن كان عهد وانقضى ... ربما تقول الحكومة حاولت أن أحول دون هذه الزيارة فأصرَّ الامبراطور ولم يكن من سبيل الى المقاومة . فنقول لها انهُ لأسهل عليها أن تحول دون زيارة مثل هذا الزائر من أن تستهدف للحالة الرهيبة التي ستتلو زيارته »

وكتب جورج برّي وهو نائب جمهوري محافظ « أما مجيء امبراطور المانيا الى باريز فمشروع لا تجوز المناقشة فيه . ان بيننا وبينه الالزاس واللورين . فما دامت هذه المسألة لم تحلَّ حلاً نهائيًا بشكل من الاشكال فمثل تلك الزيارة من المستحيلات »

وهنالك أجوبة أخرى مسهبة وكلها لا تخرج عن هذا المعنى وانما تختلف لهجتها بين اعتدال وتطرف وليس هنا محل بسطها فنكتفي منها بما تقدم للدلالة على افكار الفرنسويين في ذلك العهد بشأن تلك الزيارة غير المرغوب فيها والتي بقيت حسرة في نفس يعقوب ... (١)

---

(١) بيد ان جريدة « النجمة البلجية » زعمت ان الامبراطور غليوم ذهب الى باريز متنكراً عام ١٨٨٩ اي بعد سنة من توليه الامبراطورية . وكان قد اتفق مع حكومة باريز على ان يقيم في هذه العاصمة عشرة ايام . بيد انه اضطر الى الرجوع بعد اربعة ايام لان احد ضباط حامية برلين — وكان موجوداً في باريز اتفاقاً — عرفه فقبض عليه ولم يطلق سراحه الا بعد مبارحة غليوم الثاني ارض فرنسا . حتى ان السفير الالماني في باريز لم يدرِ بمجيء امبراطوره الى العاصمة الفرنسوية الا بعد سفره

على ان المقامات الرسمية كذبت هذه الرواية غير مرة . بيد ان التكذيب الرسمي قد يفيد احياناً معنى التثبيت والله اعلم .

الفصل السادس عشر

رحلات غليوم الثاني

رحلته الى الاستانة وفلسطين وسورية

لما تسنم غليوم الثاني عرش الامبراطورية الالمانية دارت على الالسنة عبارة وصفية تناولت الملوك الثلاثة الذين تعاقبوا منذ تجديد الوحدة الامبراطورية بعد الحرب السبعينية وهم غليوم الاول ، وفريدريك الثالث ، وغليوم الثاني وهي :

الامبراطور الهرم الامبراطور الحكيم الامبراطور الرحالة

ولا بدع فان غليوم الثاني كان لا يستقر في موضع . على اننا لا نود ان نأتي في هذا الموضع على بيان رحلاته الكثيرة فهي اكثر ارتباطاً بتاريخه السياسي منها بتاريخه الشخصي الاخلاقي . ثم هي من الكثرة بحيث يضيق عنها نطاق هذه الصفحات . ولكن ما لا يدرك كله ، لايترك جلُّه ، فنحن نقتصر في سياق الكلام عن الرحلات الامبراطورية على رحلته الى الاستانة وفلسطين وسوريا فهي أعلق بنا وأدعى الى اهتمامنا من رحلاته الاخرى ، علاوة على انها كانت فاتحة السياسة التي حاول بها أن ينشب أظفاره في هذا الشرق الذي بات لسوء طالعه ميداناً لتنازع المطامع الغربية

باشر غليوم الثاني رحلته الامبراطورية الى الاستانة على يخته هوهنزولرن تخفره البارجتان هرتا وهيلا في الرابع عشر من شهر تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٨٩٨ فاستقبله عند القلعة السلطانية وفد رسمي يرأسه سعيد باشا رئيس شورى الدولة على اليخت العثماني عز الدين ومن ورائه الطراد لورلي وهو بارجة السفارة الالمانية يقل السفير الالماني البارون مارشال ورجال السفارة ونحو مئة من الضباط الالمان ورجال الحرس الامبراطوري . فصعد اليه السفير اولاً ثم استقبل الوفد الرسمي وهو مرتد بزة بحرية ايضاً وعلى رأسه قبعة بيضاء . اما الامبراطورة فكانت مرتدية فستاناً اصفر

اللون ضاربًا الى الاحمرار وعلى رأسها قبعة مكتوب عليها « هوهنزولرن » ثم استؤنف المسير بين دوي مدافع الترحيب من حصون « قوم قلعه » و « جناق قلعه » و « سد البحر » وصيحات الجنود بالدعاء من الحصون والدوارع العثمانيـة . وفي صباح اليوم التالي وصل اليخت الامبراطوري الى « قوم قبو » فلما مرّ من امام الثكنة الهمايونية حيته بمدافعها فأجابتها الدارعة هرتا بالمثل ورفع اليخت على أعلى ساريته العلم العثماني

في الاستانة

القيت المراسي في ميناء الاستانة الساعة التاسعة صباحًا وكان السلطان عبد الحميد قد وافى قصر طوله بغجه (وفي معيته المشير عثمان باشا الغازي) فنزل الى الرصيف لاستقبال ضيفيه وكان مقلد الجيد بقلادة هوهنزولرن فأخذ بيد الامبراطورة فأصعدها الى البر ثم صافح الامبراطور ودوت المدافع . وكان الامبراطور في بزة ألاي الحرس الامبراطوري (الهوسار) وعلى صدره الوسامات العثمانية والامبراطورة مرتدية فسطانًا وردي اللون مع قبعـة بيضاء وعلى صدرها وسام الشفقة . ثم ركب السلطان عربة سلطانية تجرها اربعة من جياد الخيل وعن يمينه الامبراطورة وامامهما منير باشا ناظر التشريفات وركب الامبراطور عربة مثلها وامامه الصدر الاعظم خليل رفعت باشا والمشير فؤاد باشا الياور السلطاني . وتبعتهم عربات عديدة تقل الامراء والحاشية الامبراطورية وفيها وزير الخارجية البرنس دي بيلوف وسائر الوزراء الكبراء الى سراي يلدز وكان قد ارصد للضيفين العظيمين جناحها الايمن [١]

---

(١) هذا الجناح عسح الفين من الامتار وطوله ٤٦ متراً . وقد جعل للامبراطورين ١٤ حجرة منه والباقي لحاشيتهما . وفي هذا الجناح ردهة كبرى تبلغ ١٢٠ متراً طولاً في عرض ١٥ فرشت ارضها سجادة واحدة من ابدع الانواع العجمية التي امتاز بصنعها معمل هركلة الهمايوني . ولا مثيل لهذه السجادة في العالم كله فقد قضى الف عامل سـنة كاملة في صنعها . اما سائر اثاث هذه الردهة فكان آية في الابهة والرواء . وهو مما كان مدخراً من عهد

ولما رد الامبراطور الزيارة لعظمة السلطان في قصره كان مرتديًا بزته الرسميـة وعلى رأسه التاج الامبراطوري .

« سبيل الماء » الذي اهداه غليوم الثاني الى الاستانة يوم زارها (١٨٩٨)

ولا نطيل في وصف المآدب والحفلات التي اقيمت لضيفي الاستانة مدة وجودهما فيها فليس ذلك من موضوع هذا الكتاب وحسبنا القول ان الامبراطورين قضيا في عاصمة السلطنة اسبوعًا كانا في خلاله مظهر الاعظام والاجلال . وقد زارا ضواحي الاستانة بحراً وبراً وتفقدا معاملها ومعاهدها المشهورة كمعمل هركله الذي

السلطانين عبد المجيد وعبد العزيز . ويقدر ثمن الكرسي الواحد بما يزيد على الف جنيه ومثل ذلك وزيادة الستارة الواحدة . وانفس ما في هذا القصر ثلاث ثريات معلقة في سقف الردهة الكبرى لا يمكن تقدير احداها بثمن لانها ليست من البلور بل من الجواهر الكريمة . علاوة على ما جمعت من احكام الصناعة وابداع التأليف بين الوانها . قيل ولا يوجد مثلها في متحف او سراي ملـكية شرقاً وغرباً . ثم ان في وسط الردهة زهرية كأنها اسطوانة ضخمة هي اكبر ما رأى الراؤون من نوعها الصيني او الياباني . صنعت في المعمل الحميدي الخاص بيلدز ونقشت على جوانبها صور وقائع الحرب العثمانية اليونانية على اجمل مثال

تستصنع فيه الانسجة الحريرية والسجاد الفاخر – وقد قدم لهما مديره باسم عظمة السلطان سجادة جميلة طولها اربعون متراً في عرض ١٨ صنعت تذكاراً لزيارتهما . فمنح الامبراطور البنات الاثنتي عشرة اللواتي اشتغلن بها كل واحدة خمس مئة فرنك كما كان من نصيب الامبراطورة ثلاث سجادات صغرى من الحرير .

وشهد الامبراطوران يوم الجمعة التالي – بعد أن زارا جامع اجيا صوفيا والمتحف السلطاني – حفلة السلاملك . وكانا مع كبار الجالية الالمانية في ردهة خاصة ثم سارا الى قصر مالطة في السراي الهمايونية فأشرفا على الاستعراض العسكري

واتفق ان كان يوم السبت التالي (٢٢ منه) عيد ميلاد الامبراطورة فحملت اليها صاحبة العصمة خانم افندي احدى كريمات السلطان والبالغة من العمر ست سنين طاقة من الزهور وبعد ان هنأتها بألفاظ عذبة انشدتها قطعة موسيقية جميلة وفي ظهر هذا اليوم اقيمت مأدبة الوداع في السراي السلطانية وبعد الظهر شيع عبد الحميد ضيفيه الى الرصيف يحيط به انجاله الامراء فركب الزورق السلطاني بعد المصافحة الاخيرة ودوت المدافع

وصدرت الارادة السنية فوضع نوط ذهبي بمقدار اثنتين من قطع النقود الذهبية ذات قيمة خمس مئة غرش تذكاراً لهذه الزيارة . ونقش عليه الشعار العثماني ومن حوله هذه الكلمات : « اجتماع السلطان عبد الحميد خان الثاني بامبراطور المانيا ويلهلم الثاني في القسطنطينية في اول جمادى الاخرى سنة ١٣١٦ » وعلى الوجه الآخر الشعار الالماني (النسر) وحوله عبارة المانية بمعنى ما تقدم

في حيفا ويافا والرملة

وصل الامبراطوران الى حيفا يوم الثلاثاء في ٢٥ تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٨٩٨ فاستقبلهما وفد يرأسه ناظم باشا والي سورية ورشيد بك والي بيروت . وكان نزولهما الى البر على زورق بخاري بديع الصنعة قامت في وسطه غرفة بلورية . وبعد المصافحة قال الامبراطور لقائم مقام حيفا ان بلدكم صغيرة ولكنها جميلة فأجابه « كانت صغيرة اما الآن فعظمت بتشريف جلالتكم »

ثم زار الامبراطوران جبل الكرمل . وفي اليوم التالي بعد تفقد المعاهد الالمانية سارا في موكب عظيم الى قيصرية مارين بعتايت فالتنتورة فالبرج وقضيا الليل في المضارب . ثم استأنفا السير في الصباح الى يافا . حتى اذا بلغا سارونة (وهي المستعمرة الالمانية الاولى على بعد نحو نصف ساعة من يافا) استقبلهما نحو اربعة آلاف شخص وقدم لهما القنصل الالماني كأساً من الخمر الجيدة قائلاً : اقدم لجلالتكم كاساً من خمر عصرتها يد المانية . وقدمت عقيلة القنصل الى الامبراطورة طاقة زهر وقالت : اقدم لجلالتك زهوراً اقتطفتها يد المانية »

ثم بلغا المستعمرة الالمانية الثانية الكائنة ضمن يافا فكان لهما ثمة استقبال زاهر لم يسع غليوم الثاني الا ان اشار اليه في رسالته التلغرافية الى عظمة السلطان

وصباح يوم الجمعة ركب غليوم الثاني وعقيلته فرسين مطهمين وسارا والحاشية تتبعهما في العربات الى الرملة حيث تناولا طعام الغداء ونزلا في المضارب المضروبة امام الجامع الابيض . وتناولا طعام العشاء في أترون ونزلا في المضارب . وفي الصباح استأنفا السير في عربة تجرها ستة من الجياد وامامهما وجوه البلاد على الخيول يلعبون بالسيوف والرماح حتى قاربا القدس فنزلا وصليا الى الله شاكرين لبلوغهما اورشليم بسلام . ثم دخلا القدس على الجياد في موكب فخم

في القدس

برزت القدس في حلة سندسية جميلة مطرزة بالزهور ومن فوقها الاعلام خافقة على اقواس نصر بديعة الصنع . ونصب اليهود قبة تخفق فوقها الرايات الالمانية والعثمانية وتزينها الآنية القدسية من فضية وذهبية وتيجان التوراة وقطع الانسجة المكتوبة عليها الوصايا العشر وستارات الهيا كل الممثلة الاسباط الاثني عشر ومن تحتها الى الجانبين حجرتان يجللهما الحرير المزركش بالقصب لكبار الطائفة وكتب بصدر القوس بالالمانية من جهة « مبارك الآتي باسم الرب » ومن جهة أخرى « لتعش الملكة »

واقبل الامبراطور بعد الظهر لزيارة القبر المقدس في موكب عظيم ممتطياً جواده الاشهب ومرتدياً بزة عسكرية صفراء عليها برنس حريري والامبراطورة في عربة تجرها اربعة من الجياد ومعها ثلاث من نساء الشرف . ولما بلغا باب الخليل ترجلا الى باب كنيسة القيامة حيث استقبلهما بطريرك اللاتين لودوفيكوس بيافي . ولما توسطاها استقبلهما بطريرك الارمن . ولما بلغا القبر المقدس رحب بهما بطريرك الروم الارثوذكس فسجدا وصليا ثم دخلا كنيسة الروم الارثوذكس الخاصة المعروفة بكنيسة نصف الدنيا حيث شاهد الامبراطور هدايا البرنس البرت البروسوي شقيق جده غليوم الاول (١٨٤٣) وما حوته الكنيسة من الآثار والتحف . وبعد أن تفقدا سائر المعاهد المقدسة عادا على نحو ما اتيا الى المضارب المضروبة على مقربة من منازل الجالية الالمانية

في بيت لحم

وصباح الاحد ٣٠ منه أمّا بيت لحم في موكب حافل فزارا الكنيسة الالمانية ثم كنيسة بيت لحم والمغارة التي ولد فيها السيد المسيح والمهد بجانبها . وبعد أن تفقدا سائر الكنائس والمعاهد عاد الامبراطوران الى القدس (بعد ان عرجت الامبراطورة على بيت جالا) وبعد الظهر احتفلا بتدشين كنيسة المخلص الالمانية احتفالاً باهراً ثم زارا جبل الزيتون وكان الامبراطور على جواده الاشهب في بزة عسكرية عليها درع المانية وبرنس حريري ابيض وعلى رأسه كوفية حرير بيضاء . وبعد ظهر الاثنين زارا العلية الصهيونية واهديت اليهما قطعة ارض في جوارها تمسح نحو الفي متر مربع

في الحرم الشريف

وزارا صباح الاربعاء (٢ تشرين الثاني – نوفمبر) الحرم الشريف فدخلا من الباب الشرقي الى المسجد الاقصى فسرير سيدنا عيسى فالابواب الدهرية فكرسي سيدنا سليمان ثم خرجا من باب الاسباط المعروف بباب السيدة مريم وذهبا الى برك

سليمان فالمدارس الالمانيـة . وفي صباح الخميس زارا المستشفى الالماني و بيت الفقراء و بعد الظهر ذهبا الى قبور الملوك متفقدين الآثار التاريخية القديمة

وغادر الامبراطور القدس صباح الجمعة في القطار الحديدى الى يافا وكان اليخت الامبراطوري في مينائها فركباه الى بيروت تخفره الدارعتان الالمانيتان وتتبعه الباخرة ازمير مقلة الوزراء العثمانيين

الامبراطور في بيروت

وصل الامبراطوران الى بيروت صبـاح يوم السبت فكان لهما استقبال بحري انيق و بعد ظهر الاحد نزلا الى البر وتجولا في المدينة وكانت رافلة في ابهج زينة وفي قلبها قوسا نصر نصبهما المجلس البلدي بعناية مهندسه البارع يوسف افندي افتيموس

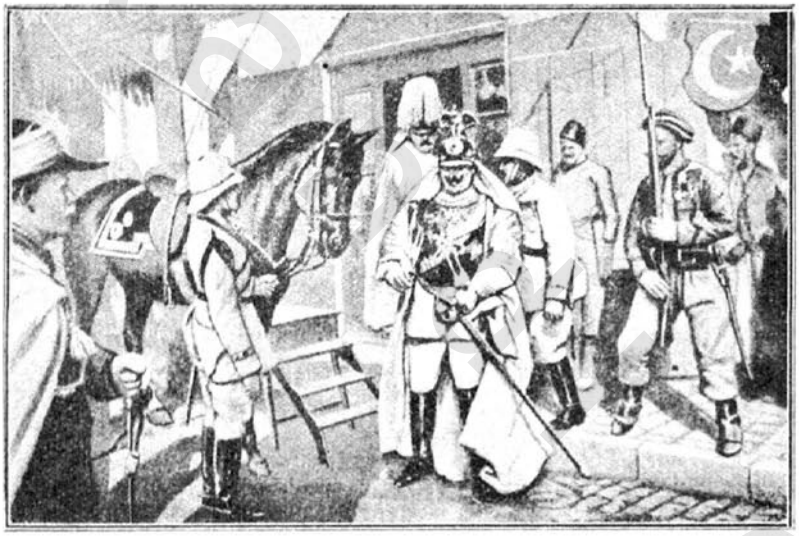

غليوم الثاني حين دخوله القدس الشريف (١٨٩٨)

فكانا بهجة للناظرين . ثم زارا معاهدها العلميـة الكثيرة ومستشفياتها – وفي مقدمتها المستشفى البروسي حيث عاد طبيبه الخاص وكانت قد كسرت رجله بصدمة على درجة القطار – وقد قدمت رئيسـة هذا المستشفى لغليوم كتاب العظماء الذين زاروا المستشفى من عهد تأسيسه فوجد فيه اسم البرنس فريدريك شرل ابن عم ابيه وكان قد جاء بيروت سنة ١٨٨٣

وبينما كانت الامبراطورة تتفقد مدارس البنات زار الامبراطور الثكنة العسكرية ثم تلاقيا في غابة السنوبر الجميلة

في لبنان

وفي ٧ منه أمّ الامبراطوران وحاشيتهما دمشق الفيحاء على القطار الحديدي فلما بلغ محطة عاليه رحب بهما نعوم باشا متصرف لبنان ورجال حكومته في سرادق مضروب وسط احمة مصطنعة نضدت على شكل هندسي لطيف . فأذكرته حفاوة الاستقبال زيارة ابيه فريدريك الثالث لبنان قبل ٢٩ سنة ونزوله ضيفًا على متصرفها يومئذ فرنقو باشا والد عقيلة نعوم باشا

ولقي الامبراطوران مثل هذه الحفاوة في محطتي زحلة والمعلقة . فقد ضربت الى شرقي محطة المعلقة ثلاثة عشر مضربًا في وسطها واحد كبير فرش بثمين الرياش نزل فيه الامبراطوران ومن حولها رجال حكومتي زحلة والمعلقة يتقدمهم ناظم باشا والي سورية . ثم تقدمت الى الامبراطورة طفلة حسناء لاتتجاوز سنوها الخمس مرتدية ثوبًا جميلاً جامعًا لالوان العلم الالماني وفي يدها طاقة من الزهور بديعة الصنع عاطرة الشذا فقدمتها الى جلالتها وأنشدتها ثمانية ابيات شعرية باللغة الالمانية اربعة منها ترحيبًا بجلالتها واربعة تأهيلاً بغليوم الثاني . وكانت هذه الطفلة المتوقدة الفؤاد الآنسة لوريس كريمة الوجيه نجيب بك سرسق التي اصبحت اليوم عقيلة الامير جورج باشا لطف الله . فسر الامبراطوران بها كثيراً وتناولت الامبراطورة طاقة الزهر وقرأت الابيات ثانية وكانت مطبوعة على الشريطة الحريرية المربوطة بها طاقة الزهر ثم أهدت الى الفتاة نوطًا ذهبيًا يمثل شعار دولة المانيا وعليه التاج والنسر في اطار نفيس مرصع بالحجارة الكريمة وموضوع في حق بديع الصنع

في دمشق

وصل الامبراطوران الى دمشق مساء الاثنين سابع الشهر فنزل غليوم الثاني من القطار وامتطى جواده الاشهب وركبت الامبراطورة عربة تجرها اربعة من الجياد

وتبعتها مئات من المركبات حتى سراي العسكرية وحسبنا في وصف استقبال دمشق ان نعيد ما كتب غليوم نفسه الى الدوق دي باد حيث قال : ان استقبالي في دمشق كان باهراً مدهشاً وتمنيت لو اخذ عن دمشق كيف تُستقبل الملوك »

وفي صباح اليوم التالي زار الامبراطوران الجامع الاموي الشريف ثم مقام المغفور له السلطان صلاح الدين الايوبي وامر بأن يوضع على الضريح طاقة زهور مكتوباً عليها بالالمانية « من ويلهلم الثاني امبراطور المانيا وملك بروسيا تذكاراً للبطل صلاح الدين الايوبي »

ثم زارا بيت اسعد باشا العظم وشاقت الامبراطورة ردهة الاستقبال وفي جدرانها الصحاف الصينية النفيسة المنقوشة بالالوان المتعددة من ذهبية وزرقاء وسواها فاستأذنها صاحب المنزل محمد باشا العظم ان يهدي اليها صحفتين كبيرة وصغيرة من اللونين الذهبي والازرق وجاماً صغيراً وفنجاني قهوة فارتاحت الى قبولها وأهدى اليه غليوم الثاني رسمه .

وزارا في صباح اليوم التالي بيت جبران افندي شامية ودخلا الردهة التي عقد فيها للمرحوم سليم شلهوب يوم كان والد غليوم الثاني في دمشق فشهد حفلة القران وكان اشبيناً للعريس . ثم عادا الى الردهة الكبرى فقال غليوم لاحد وزرائه « كان في هذا المكان من يعرف المرحوم أبي » ثم حادث غليوم اميل شلهوب نجل المرحوم سليم وقدمه الى وزيره قائلاً له : « اعرفك بالوزير فانه جاء مع المرحوم أبي الى بيتكم وهو يعرف ما في هذا البيت » فتصافح الفتى والوزير . .

ثم زار بيت المسيو لوتيكي قنصل المانيا في دمشق

وبعد ظهر الثلاثاء استعرض غليوم الثاني الجيش العثماني في المرجه ولعب الفرسان من العرب والحوارنة على الخيل والنياق بينما كانت الامبراطورة تتنزه في مركبتها خلال حدائق الفيحاء النضيرة

وصباح الاربعاء شخص الامبراطوران على جوادين كريمين الى الصالحية المشرفة على دمشق وحدائقها فشاقهما هذا المنظر الانيق فعادا ثانية بعد الظهر غليوم على جواده والامبراطورة في عربتها فمرت بها من الباب الشرقي فالصوفانية

فبرج الروس فمز القصب فالعمارة ونظارتها المكبرة لاتفارق عينيها مخافة ان يفوتها شيء من تلك المشاهد الرائعة

في بعلبك

وغادر الامبراطوران دمشق في صباح الخميس عائدين الى المعلقة ومنها الى بعلبك فكان وصولهما اليها قبيل الغروب . فدخل غليوم القلعة تواً وكانت قد اعدت بارادة سنية صفحة كبيرة مؤلفة من احجار رخامية في اطار من الفسيفساء على قاعدة من الحجر السماقي مكتوب عليها بالالمانية والتركية ما تعريبه : « بمناسبة زيارة امبراطور المانيا وملك بروسيا جلالة غليوم الثاني وحضرة قرينته الامبراطورة اوغسطا لحضرة سلطان العثمانيين السلطان ابن السلطان السلطان عبد الحميد خان الغازي الثاني وتذكاراً لزيارتهما بعلبك . كتب هذا في العاشر من شهر تشرين الثاني سنة ١٨٩٨ » وكانت الطغراء العثمانية تعلو الكتابة التركية والشعار الالماني يعلو الكتابة الالمانية . فلما رفع ناظم بلشا الستار عن هذا الاثر رأى غليوم الثاني ان ينقل هذا الاثر الى هيكل المشتري ازاء الاعمدة المشهورة ثم اخذ معولاً صغيراً فضياً مذهباً فضرب الجدار في الموضع الذي يجب ان يوضع فيه ثلاث ضربات ثم بعث بتلغراف شكر الى الحضرة السلطانية

وبرحا بعلبك مساء يوم الجمعة عائدين الى بيروت . وصباح السبت برحا البلاد العثمانية بعد ان ارسل غليوم الثاني الى عظمة السلطان تلغرافاً يقول فيه

« ازايل تربة الممالك المحروسة الشاهانية قاصداً بلادي مؤسساً في قلبي وقلب الامبراطورة اوغستا فكتوريا ذكرى مآثر التلطفات الملكية التي رأيناها في اثناء اقامتنا في البلاد العثمانية التي لا تنسى . . . اذهب انا والامبراطورة ولهذه الحفاوات تأثيرات عظيمة في نفوسنا » الخ

الفصل السابع عشر

غليوم بطل روائي (الطور الاول)

في عداد الأُلى قاربوا غليوم الثـاني اميراً وولي عهد وامبراطوراً سيدة المانية تدعى الكونتة دي ويدل برار. هذه السيدة مثلت للطبع « خواطر » تناولت فيها بلسانها المرغير واحد من المقربين في بلاط غليوم الثاني . وصفت الاخلاق والعادات في ذلك البلاط وصفًا واضحًا فلم تكد تذاع خواطرها حتى ضبطت ومنع تداولها وغني عن البيان انها كانت لها في تلك الفضائح شأن يذكر ولا يشكر لبلوغها في تدبير الدسائس والصيد في المـاء العكر غاية ما وراءها غاية. ولعلها كانت مصابة بداء الجنون السياسي او حب العظمة السياسية فكانت لاترمي حبائلها في الغالب الا على عظماء رجال السياسة والامراء والملوك

ولو صح بعض ما ادعته لنفسها لكان اليها يرجع الفضل في حفظ التوازن الاوربي سنين عديدة بفضل صلاتها الولائية مع غليوم الثـاني وملك اليونان وغير واحد من اصحاب التيجان .

اما شخصيتها فذات الوان شتى .كانت رفيقة البرنس فريدريك دي هوهنزولرن ورزق منها ولدين . ثم اقترنت بضابط الماني له لقب كونت وليست له ثروة فلجأت الى التأليف ثم الى التمثيل للاستعانة على نفقاتهما . ثم طلقته واقترنت بضابط آخر ليس اوفر من الاول ثروة . وطلقته ايضًا . وبين هذا وذاك كانت لاتنفك عن دس الدسائس والاشتغال بالسياسة على طريقتها . وانكى ما في هذه الشخصيـة البارزة انها كانت تدعي – ومن يدري فلعلها على حق – انها بنت طبيعية لغليوم الاول

على ان رواياتها عن علية الهيأة الاجتماعية في برلين لذلك العهد والفضائح التي كشفت النقاب عنها مؤيدة في الغالب بالمستندات الرسميـة على نوع ما المضمونة

صحتها . على اننا نقتصر في هذا الموضع على اقتباس شيء مما كان بينها و بين البرنس غليوم في بوتسدام في سنة ١٨٨٥ او ١٨٨٦ ايام كان لا يزال اميراً لا ولي عهد ولا امبراطوراً . وكان يومئذ ابًا لثلاثة اولاد . ولئن كانت لزمت التحفظ الشديد في ما روته عن نفسها اذ ادعت ان اجتماعاتها الطويلة مع البرنس (وكان ذلك عقيب طلاقها لاول مرة) لم تكن ترمي الى شيء آخر غير تبادل الاحاديث السياسية . . .

لم تذكر الكونتة في خواطرها كيف كان اتصالها لاول مرة بالبرنس غليوم . ولعل في المسألة نظراً ، وانما ذكرت ان مشاكل سياسية خطيرة كانت مبسوطة على بساط البحث فانتدبت نفسها لحلها . . . بلسانها الذلق . فكان لهذه الغاية اجتماعها بالامير ومحادثتها الاولى التي استمرت بضع ساعات ودارت بالطبع حول مسائل سياسية اجتماعية

وشهد الاجتماع الثاني الكونت ولدرسي (الذي اصبح في ما بعد القائد الاكبر للجيوش الالمانية) فذكر له البرنس رغبته في ان يرقى الى رتبة كولونل في الاي الحرس فوعده الكونت خيراً . فلما انصرف البرنس طفق ولدرسي يندد به و يقول ان طلبه للترقية من الجنون ولا يمكن ان يكون . فقالت ولماذا وعدته اجاب ليس كل ما يعرف يقال . الا ترين انهُ لا يبرح يدس الدسائس بين ابيه وجده . وانهُ الآن في حالة نفور مع ابيه .

وعلى هذه الصورة وصفت الكونتة الجنرال ولدرسي بالنفاق والمراياة . ومع ذلك كانت تخشاه فكانت تبعث برسائلها الى البرنس على يده ولكنها كانت تخصه بالرسائل التي لا اهمية لها اما الرسائل الهامة فكانت تبعث بها الى البرنس رأساً . وعرف الكونت خبثها فسعى الى مقابلتها بالمثل وما لبث حتى وجد طريقة لتهييج غيرتها

جاءها البرنس ذات يوم فقص عليها ان امرأته غيور وانها بكت في ذلك الصباح بكاء مراً ثم اتفق ان جاء ولدرسي فأكد لها ان لامسوغ لغيرتها على الاطلاق لان العلاقات بيننا سياسية بحتة

فادركت الكونتة ان ثمة دسيسة من ولدرسي ولكنها لم تنبس ببنت شفة بل غيرت الحديث وسألت البرنس ان يصالح اباه فوعدها بأن يفعل

وذكرت له بعد ايام رغبتها في السفر الى فينا (وكانت تنصب حبائلها للارشيدوق شرل سلفاتور) فأهدى اليها غليوم عقداً من الالماس عليه الحرف الاول من اسمه ورسماً يمثله بملابس اسكوتلندية . قالت وكانت هذه الهدية « مكافأة لها على خدمها واخلاصها »

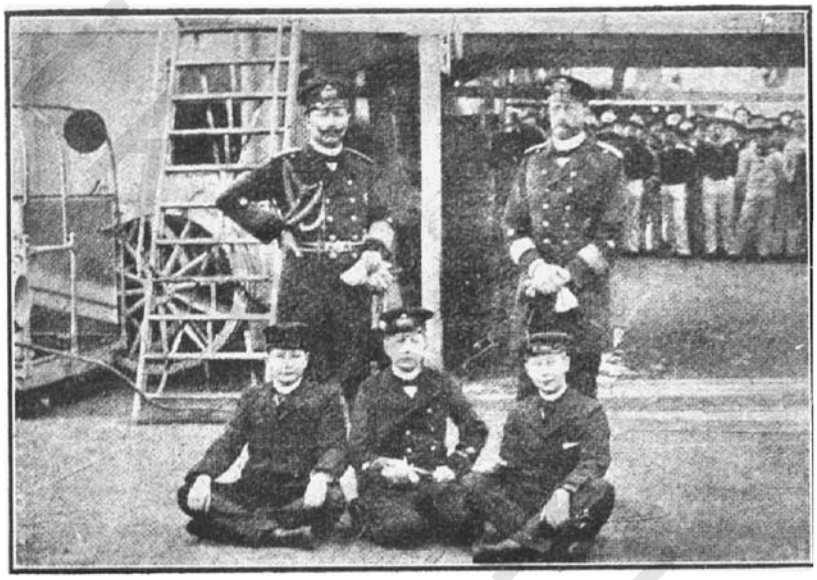

الامبراطور غليوم الثاني واولاده الثلاثة الكبار وشقيقه البرنس هنري

(اعدنا طبع هذه الصورة هنا لعدم وضوحها في صحيفة ٤٨)

ولم يطل غيابها لان الارشيدوق شرل سلفاتور عرف بدسائسها فجافاها فعادت خائبة فلما اجتمعت بالجنرال ولدرسي اتهمها بحب البرنس فأنكرت بحجة ان البرنس متزوج امرأة جميلة وانه تزوجها عن حب ورزق منها اولاداً ، وانها هي ليست بالمرأة التي تسعى في شقاء امرأة أخرى

اجاب هذا وهم . فلقد كنا في حاجة الى مرضع فاخترناها من بيت هولستن قالت عار عليك يا جنرال ان تهين الاميرة . اجاب هوني عليك فأنا أعرفها اكثر

منك فان بينها وبين امرأتي صلة نسب[1] ثم هي من بلاط صغير حتى انها لم تتعلم ان تجر ذيل ردائها . قالت اذا كان البرنس لا يقدر زوجته قدرها فقد يكون ذلك بسببك . ومهما يكن فاني اراه واهماً جداً بتوهمه فيك الصداقة وصدق الولاء

اجاب لا تغضبي يا كونتة فاذا كان البرنس حقيقة لايبدي لديك غير الفتور فذلك لانهُ غير خبير بالنساء . . . اما انا فاني اجد لذة في مجاذبتك الحديث ساعات طوالاً . . . وان لك عينين ساحرتين . اتسمحين لي ان اقبلهما . . . فصاحت به مغضبة اخرج يا جنرال واسرع فهذا خير ما تفعل . قال ستندمين . اجابت سنرى من الذي يقرع سن النـدم . وسأنشر غداً « خواطري وابعث اليك بنسخة منها فتجد فيها ما يخلد ذكرى صديق البرنس غليوم الوفيّ »

ثم انصرف الجنرال وهو يسمع الكونتة تتمتم : يالك من صلّ

اما البرنس غليوم فانه منذ ذلك العهد قاطع خلياته بتاتًا فاتهمت هذه الجنرال ولدرسي بانهُ كان السبب في هذه القطيعة . والحقيقة ان حالة نفسية جديدة طرأت على البرنس منذ اشعر باقتراب صيرورته وليًا للعهد على ما سنبينه في الفصل الآتي

---

(١) الكونتة والدرسي اميركية الاصل وهي بنت متمول كبير جاء بها الى اوربا فعلق بها البرنس دي شلسويك هولستن وتزوجها . وجعل امبراطور النمسا هديته لها لقب اميرة نوار . ولكن زوجها البرنس توفي فجأة بعد ستة شهور بسكتة دماغية تاركا ارملته وهي لم تتجاوز بعد الخامسة والعشرين من عمرها فخطب ودها امراء وعظماء كثيرون — لانها كانت علاوة على ثروتها الطائلة جميلة فتانة — ولكنها كانت بعيدة المطامع فوقع اختيارها على الكونت ولدرسي صديق البرنس غليوم وصديق بسمرك والمتوقع ان يكون خليفـة دي مولتكه فتزوجتـه وكانت دارها محط رحال الكبراء والعظماء وعلى الخصوص انصار البرنس دي بسمرك رجل المانيا الحديدي . ثم كان للكونتة ولدرسي اطلاع تام على العادات المرعية في قصور الملوك وهو ما كانت تجهله الاميرة غليوم فتولت ارشادها فلما جلست هذه على العرش بقيت حافظة للاميركية الحسناء ذلك الجميل

الفصل الثامن عشر

غليوم بطل روائي (الطور الثاني)

ابت الكونتة دي ويدل ان تعترف بفشلها فاستمرت تواصل البرنس غليوم برسائلها ونصائحها وشكاواها وهو لا يجيبها ولا يرد بحرف واحد على ذلك السيل الجارف من العرائض

ويمكن تعليل مسلك البرنس هذا على وجهين : الاول شدة نفوذ بيت ولدرسي على بيته في عهد امارته ثم بعد ذلك في عهد امبراطوريته . والثاني تخوفه من ان يصير غداً ولياً للعهد او امبراطوراً وتظل له صلة بامرأة تتعشق الدسائس

ويخلق بنا قبل ان نبحث في هذين الوجهين ان نلقي نظرة الى مسألة ترقية البرنس الى رتبة كولونل في الاي الحرس لنقدّر حقيقة ما كان للكونتة من النفوذ على اعمال غليوم

روت الكونتة ان البرنس نال هذه الترقية المنشودة وان الجنرال ولدرسي حمل اليه بنفسه بزتها الى محطة بوتسدام . ثم ذكرت انهُ في اثناء توليه هذه الرتبة منع ضباطه من المقامرة وتهدد جده بالاستقالة اذا لم يستصوب المنع . ثم ادعت انها هي التي اوحت اليه برسائلها ان يسلك هذا المسلك الحازم . وهو ما لا يعقل خصوصاً ان البرنس كان قد صح عزمه نهائياً على قطيعتها وانما فعل ما فعل رجوعاً الى طبيعته ومبادئه الادبية الصحيحة وكانت لم تؤثر فيها بعد السياسة القائمة على النفاق وعلى هذا فان كل ما ادعته الكونتة لنفسها من الفضل هواء في هواء

نرجع الى السببين اللذين افضيا الى المقاطعة . ولسائل ان يسأل : هل كانت بين البرنس والكونتة صلات غرامية ؟ الكونتة تنكر وهذا حقها ولكننا نرى أقرب الى الحقيقة رأي الجنرال ولدرسي . لانهُ يكاد يكون من المستحيل تصديق ان ضابطاً في مقتبل العمر يجتمع ساعات متوالية كل يوم مع امرأة حسناء ثم يقتصران

على دس الدسائس . وبعد أليس في الهدايا التي كان ينفحها بها والمرتبات المعينة والرسائل المتبادلة ما يكذب هذه الدعوى . وقد ذكرت الكونتة ان البرنس عرّض في احدى رسائله بماداي مدير الضبط والربط في برلين يومئذ فقال « هذا الخنزير الكبير ماداي » فهل كانت تبدر منه هذه الكلمة في رسالة مخطوطة لولا انهُ كانت له ثقة تامة في الكونتة مؤسسة على ولاء اكيد . ولولا ان ثمة ما يوجب الريبة لما كانت الكونتة القت تبعة مقاطعة البرنس لها على ولدرسي الذي كان لايجهل ان وراء الاكمة ما وراءها

ويطول بنا نفس الكلام اذا حاولنا تتبع الكونتة دي ويدل في ما كانت لها مشاركة فيه من الوقائع الروائية ولكن من وراء الستار

رأت الكونتة انها لا رجاء لها بعد في عودة البرنس الى مودتها فسعت في نيل منصب تستعين به على معيشتها فوجدتهُ لدى رضا خان معتمد حكومة طهران في برلين وكان لايعرف الالمانية فضم اليه الكونتة التي كانت تجيد عدة لغات وما لبثت ان علق بها رغم انهُ كانت له في طهران زوجة وسبعة اولاد . وكانت الفوضى سائدة في هذا البيت . وكان رضا خان في حاجة الى المال فانصرف الى بيع الاوسمة واعطاء الامتيازات ومنح الرتب الفخرية وكانت الكونتة واسطة الخير في اكثر هذه العقود

اما عن الاخلاق والعادات التي كانت مرعية في ذلك البيت فحدث ولا حرج اقيمت فيه مرة وليمة لبروغش باشا – وهو عالم الماني شهير من علماء الآثار المصرية – فجاء مع زوجته وابنته . فبينما هم على الطعام ابصرت الكونتة الابنة تمضغ حبة توت (فراولة) ثم تضعها في فم ابيها فاشمأزت . ثم عُلم بعد ذلك ان تلك الفتاة التي قدمها بروغش باشا في جميع القصور كابنته انما كانت خادمته

ولم تطل مدة اقامة الكونتة في بيت المعتمد الفارسي بل استقالت ذات يوم على حين غرة وانصرفت . وكان احد رجال الضبط في اثرها . وقد روت حديثًا دار بينه وبينها اتهمته فيه واتهمت معه ماداي مدير مصلحة الضبط والربط بأقبح التهم واشنعها فلم يحر الرجل جوابًا وتركها وانصرف

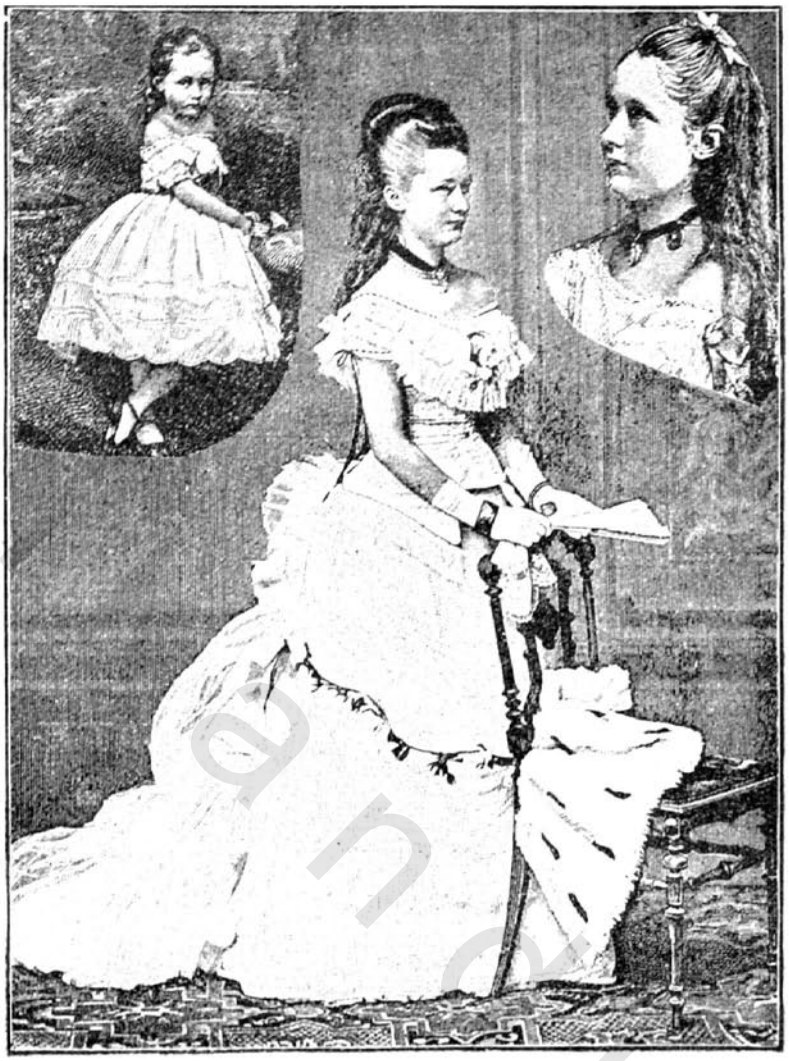

بنت اثنتى عشرة　　بنت خمس سنوات

الامبراطورة بنت ثماني عشر سنة

وفي هذا العهد (٢٢ مارس ١٨٨٧) تزوجت للمرة الثانية فلم تكن في زواجها الثاني احسن حظاً منها في زواجها الاول فلما مرت عليهما سنة اوعز الزوج الى امرأته ان تلتمس من الامبراطور (وكان غليوم قد جلس على العرش منذ خمسة عشر يوماً فقط) منصباً له وسلفة من الخزينة الامبراطورية ففعلت . وبعد ايام تلقت جواباً من والدرسي بالانتظار ثم بعد ثمانية ايام تلقت رسالة من مستشار الامبراطور الخاص يطلب فيها منها ان ترد اليهِ رسائل الامبراطور

فيتوسط لها لدى جلالته . واصحب الرسالة بست مئة مرك . فتميزت الكونتة غيظاً وردت الست مئة مرك . وبعد تبادل بضع رسائل مع المستشار ارسلت اليه ما لديها من رسائل البرنس غليوم – الا خمساً منها وهي اهمها – ادعت بعد ذلك انها كانت اودعتها عند محرر المقاولات ويس فسلبها اياها . وعلى اثر ذلك كتب لها المستشار ان الامبراطور خصص لها مرتباً سنوياً قدره ٢٤٠٠ مرك لتربية ولدها لمدة خمس سنوات

اما الزوج فلما لم ينل شيئاً لنفسه طلقها . ومحرر المقاولات ويس رفع عليها قضية قذف فحكمت عليها المحكمة بالحبس ستة شهور وكأن الامبراطور تذكر ايامه الماضية معها فتناسى مضايقتها له برسائلها المستمرة فرأى أن يخفف عليها وقع تلك العقوبة فزاد المرتب الذي كان قد خصصه لها الى ٤٨٠٠ على شرط ان تلازم السكينة . اما العقوبة فلم تفيها . ولكنها قبض عليها بعد سنوات فامر الامبراطور بايداعها في مستشفى صحي ثم اطلق سراحها

واعادت اليه الرسائل الخمس وابقت عندها رسم البرنس غليوم بالبزة السكوتلندية مكتوباً عليه بالفرنسوية بخط البرنس :

Fais ce que tu dois, vienne qui pourra,.

قالت الكونتة وقد وقع خطأ في كلمة Vienne واصلها Advienne

ولكننا لانحسب الامبراطور قد وقع في هذا الخطاء – على تضلعه من اللغة الفرنسوية – الا متعمداً (١)

---

(١) المثل الفرنسوي الاصلي معناه « افعل ما يجب عليك وليكن مايكون » اما في تحريف الامبراطور فاصبح المعنى : « افعل ما يجب عليك وليأت من استطاع » وفيه نكتة لاتخفى على اللبيب

الفصل التاسع عشر

شخصية الامبراطور

وضع المؤلف الاخلاقي مكس نوردو من مشاهير كتاب الامة الالمانية كتاباً ممتعاً في وصف شخصية الكاتب الروائي الفرنسوي اسكندر دوماس الابن برهن فيه على تماثل في النفسية واتفاق في الغاية المنشودة بين الكاتب الروائي والعاهل المستبد من حيث ان كليهما يرميان الى استهواء النفوس بطرق جامعة بين العنف والبساطة في وقت معاً. وما نحسب المؤلف الا تمثل غليوم الثاني في تلك المقارنة حتى كان كأنهُ يعنيه. قال: «لاستهواء الجماهير والتحكم فيها وسائل كثيرة اهمها ثلاث: الاستهواء، والتأثير، واستفزاز الشهوات. اما الاستهواء فيقتضي عملاً لا مندوحة لصاحبه عن ادواته وهي منه بمنزلة الاصنام في العصور الجاهلية. فالعاهل المستبد لاتخلو طرقه العملية من مظاهر خشونة كالمواكب الفخمة وعرض الجيوش وما تزدان به بطانته من الرياش الثمين. او كابتداعه الاوسمة يباهي بها ويفاخر. وكذلك لا مندوحة عن التذرع بقوة تأثيرية عظيمة لاحداث حركات نفسانية في الجماهير. والجماهير كما لا يخفى سريعة الالتهاب ولكنها لا تؤثر فيها الحرارة الكامنة وانما هي تتطلب شعلة ساطعة لتلتهب. هاتان الحالتان تقتضيان في الوقت ذاته شيئاً من الابتذال. فان الملوك والممثلين سواء في تتبع النفسية الشعبية في كل ما تتقلب عليه من الاحوال»

ثم تطرق المؤلف من هذا الى ان قال: قد يتوهم قوم ان في هذه المقارنة غضاً من مقام صاحب العرش كما يرى فيها غيرهم اندفاعاً من المؤلف الروائي سائغاً. بيد اننا نكاد لانجد ميزة ما في المستوى بين طرفي المقارنة اذا انعمنا النظر في المسألة من حيث تطور الانسانية المستمر

وان مما يدعو الى الاسف ان العالم الالماني لم يطبق هذه القاعدة البسيكولوجية الخطيرة الا على شخصية دوماس الابن في حين ان صورة غليوم الثاني كانت بارزة

بين يديهِ ماثلة لعينيهِ . فهو لم يعدم قط القوة التأثيرية في علاقتهِ بالكونتة دي ويدل بل جمع فيها بين الانعطاف والاباء

وقد اجمل المؤلف الالماني وصف دوماس فقال : كان تام الرجولية اخلاقاً وقوة ارادة ، كان متشعب الاهواء مع بعض شواذ ، كانت له قوة تأثيرية عظيمة يشوبها شيء من الابتذال ، وهي صفات تؤهله لان يكون في طليعة قواد الجماهير وهي التي جعلته في التأليف الروائي من الطراز الاول

أليست هذه الاوصاف كأنها منتزعة من شخصية غليوم الثاني انتزاعاً

بقي الاستهواء . وأي شيء في اقوال غليوم الثاني وفي افعاله لا يؤيده . تأمل وقفاته الفخمة امام الالات الفوتوغرافية ، وبروزه في اليوم الواحد في بضع عشرة بزة رسمية ، وقد يكون في غير عاصمته ، فهو في مثل هذه المواقف انما كان يحسب ان ابصار العالم شاخصة اليه . حتى كان لا يختلف في شيء من حيث هذه النزعات التمثيلية عن احد القياصرة الرومانيين او البيزنطيين

واغرب من كل ذلك انه خطر له ذات يوم تجديد عهد فريدريك الكبير . فبرز في حفلة رسمية كان قد اقامها لتكريم رسامه « منزل » في ثياب عهد ذلك الامبراطور على غرابتها فكان بلاطه اشبه بماهى كبير تمثل فيه رواية تاريخية بطلها الاكبر الامبراطور

وفي الجملة فقد كان يتحين كل فرصة للبروز امام الناس في مظهر فخم ، وهذا كله بقصد الاستهواء والتأثير على الناس . وانما كان يريد باعماله تلك ان يطبع الامة الالمانية كلها بطابعه ، ويكون لها ربًا عصريًا يتولى كل شيء بنفسه ولا يميل باذنه الى شفاعة شفيع . من اجل هذا نبذ الرجل الداهية بسمرك من اول عهده بالجلوس على العرش وشرع في سن القوانين المحددة للنفقات ، حتى لم يغفل عن الاهتمام بشؤون المطابخ الامبراطورية ذاتها . فكأنه بكلمة واحدة كان يريد ان يجدد تكوين المانيا كلها على صورته ومثاله

ثم أليس من وسائل الاستهواء والتأثير ما فعله غليوم الثاني من سكه نقوداً خاصة للمستعمرات الافريقية نقش عليها باللاتينية « غليوم الثاني امبراطور »؟ أليس

من فنون التمثيـل ما فعله في فلسطين من ارتدائه بالبرنس تعلوه قبعة الفلين ذات الحربة ؟ أليس من ضروب التمثيل استهلاله خطبته في نورمبرغ في يو بيـل المتحف الوطني الجرماني بهذه الكلمات :

« نحن غليوم ، بنعمة الله ، امبراطور المانيا ، وملك بروسيا ، ومرغراف برندبورغ ، و بورغراف نورمبرغ ، وكونت دي هوهنزولرن . . . » الخ

على ان اشد ما نأسف له في هذا الصدد اننا لم يصل الينا شكل من صنف من ورق اللعب كان غليوم الثاني نفسه قد أمر باستصناعه وفقًا لخطة يقال انه رسمها بنفسه فكانت تزاويق هذا الشكل من الورق ممثلة لملوك الممالك الاوربية في ذلك العهد ولرؤساء جمهورياتها ، وكان غليوم الثاني ملك الكوبة ، وقيصرة روسيا ملكة البستوني ، وملك البلجيك ملك الديناري ، والبابا لاون الثالث عشر ملك البستوني والملكة فكتوريا ملكة الكوبة ، والملك همبرت الايطالي ملك السباتي ، والملكة مرغريت الايطالية ، والملكة اليصابات النمسوية ملكتي السباتي والديناري ، والغلام البستوني والدك روسو رئيس الوزارة الفرنسوية في ذلك العهد والثلاثة الاخرى زملاؤه رؤساء الوزارات في المانيا وانكلترا وايطاليا ، بسمرك وغلادستون وكرسبي

واما الأُصوص الاربع فكان يمثلها اربع من شهيرات الممثلات المعروفات في ذلك العهد بجمالهن

ولو ان البابا بيوس العاشر ادركه لكان وصفه بما وصف به من قبل نابوليون الاول Comediante, tragediante اي الممثـل المضحك والمبكي . وحسبه في هذا الصدد انه كان في اول عهده لا رغبة له في غير السـلام . ولا مطاب له غير توثيق عرى الوفاق والوئام . الى ان استهواه ما استجمع من اسباب القوة فاصبح لاحديث له غير البارود الجاف والسيف المسنون . ولله في خلقه شؤون

الفصل العشرون

غليوم آلة في يد الله

اوصافه . عاهاته الجسمانية . درجة احتماله للمداعبات

لم نكن مغالين مقدار ذرة في وصف شخصيـة غليوم الثاني على نحو ما تقدم . اما في يتعلق بمعتقده فهو نفسه قد كشف النقاب عنه في رسالة مشهورة بعث بها الى الاميرال هلمان وتناقلتها صحف المعمور . فقد قال فيها :

« اما انا فلا شك عندي في ان الله لاينفك يتمثل لخلقه ... فهو لشدة حبه الابوي وعنايتـه بمخلوقاته . يتتبع الانسانية في تطورها ليأخذ بها في سبيل الرقي . فهو يتمثـل طوراً في شخص رجل حكيم . وتارة في شخص كاهن او ملك ... سواء في ذلك الامم الوثنيـة او الاسرائيلية او المسيحية . فلقد كان في عداد متلقي الهامه حمورابي ، وموسى ، وابرهيم ، وهوميروس ، وشرلمان ، ولوثيروس ، وشكسبير ، وغوت ، وكانت ، والامبراطور غليوم الكبير . اختارهم ورآهم اكفاء للقيـام باعمال عظيمة لاتفنى طبقًا لمشيئته . سواء من الوجهة العقلية او من الوجهة الطبيعية . وكأيّ من مرة ذكر لي جدي (غليوم الاول) مؤكداً انه انما كان « **آلة في يد الله** » واختتم غليوم الثاني هذه الرسالة بقوله : مما تقدم استنتج ما يأتي :

(ا) اؤمن بالله الواحد الاحد (ب) نحن الرجال لا مندوحة لنا للدلالة عليـه من شكل ، وهذا بنوع خاص بالنظر الى اولادنا (ج) هذا الشكل كان الى هذا اليوم كتاب العهد القديم (التوراة) كما اوصلته التقاليـد الينا . ومهما يكن فليس من سبيل الى تطبيق الدين على المبادىء العلمية فانما قاعدة الدين قلب الانسان وقوامه علاقاته مع الله (اه)

ولا نحسب مثل هذا الكلام الواضح يستلزم زيادة بسط وايضاح

اما اوصاف غليوم الثاني وملامحه فهذا بيانها . كان قوامه فوق الربعة . وكان يقيس متراً وواحداً وسبعين سنتمتراً من القدم حتى قمة الرأس وهذا قبل ان تقوس ظهره الاشجان . واما ملامح وجهه فتختلف اختلافاً بيناً عما تمثله لنا صوره البادي تكلفها . فالجمجمة معتدلة الكبر قانونية وعظمها بارز تحت بشرة غير كثيفة . والجبهة عالية وعريضة محدّبة . والانف مستقيم مرتفع الارنبة (الطرف) اقرب الى النحافة وبين الانف والصدغين خطان متقاربان . والحاجبان كستنائيا اللون الى السواد والعينان عساليتان . لا بارزتان ولا غارقتان . اذا ارسلتا نظرات طبيعية قرئت فيهما دلائل التردد والتفكر . اما النظرات الحادة في صوره المتعددة فغالب عليها التصنع

اما فمه فأقرب الى الكبر ، والاسنان ليست سليمة تماماً وانما هي مصلحة بمهارة واما الذقن فقوية ولكنها مستديرة . والشفتان ثخينتان ولا سيما سفلاهما . والصوت عالٍ جهوري متماوج خصوصاً حين يتعمد الامبراطور ارضاء سامعيه . وهو ذلق اللسان سريع الكلام اذا حدّث بالالمانية او الانكليزية ، بطيئه اذا تكلم بالفرنسوية

ومن مميزاته في هذا الصدد انهُ ليست له في حديثه لهجة مواطنيه من الالمانيين البحاء على نوع ما حين يتكلمون لغة اجنبيـة . وقد قلنا في غير هذا الموضع انهُ يتكلم الفرنسوية بسهولة ومن غير جهد

بقي شيء في طلعة غليوم الثاني لم نصفه وهو اكثر ما اشتهر من حيث الملامح به ، ونعني به شنبه ، تقلبت على الشنب الامبراطوري ازياء شتى حتى ما بعد جلوسه على العرش بخمس سنوات ، وكان اهمها الى ذلك العهـد تسريحه بشكل مروحة ، ثم صح العزم في سنة ١٨٩٤ على الشكل الاخير الذي كنى عنه فقيد الادب الشيخ اسكندر العازار « بالساعة عشرة وعشرة » وذلك بتفتيل السبلتين وارسالهما صعداً كالسنان في أعلى الخوذة الالمانية . وكان الفضـل في هذا الاكتشاف يرجع الى مؤازرة « هايي » رئيس المزينين في البلاط ، الذي كان لايفارق الامبراطور في اوائل عهده حرصاً على بقاء الشنب الامبراطوري « على قدم الحرب »

بقيت لنا كلمة في ما للصفات الجسمانية من التأثير في العمل العقلي ، كالعمر مثلاً والمميزات الشخصية من طول القامة وقصرها ، متانة التركيب او نحافته ، قوة

العضلات او ضعفها ، حدة البصر ، رنة الصوت ، ولقد قال قائل « لو ان روح نابوليون كانت في جسم إيزوب (قصصي يوناني شهير) لكان التاريخ العصري اتخذ وجهة اخرى . فضلاً عن ان اختراع التصوير الشمسى ساعد كثيراً على تبيين هذه الحقيقة باظهاره كبار الرجال في مظاهرهم الطبيعية »

ولعل تنبه غليوم الثاني لهذه الحقيقة هو ما اهاب به الى زيادة العناية بشخصه وكان حسن الشكل على الجملة – ولئن خلت ملامحه من النعومة – بيد ان البحث الدقيق يشف عن ظهور بعض من اثار الانحطاط التي تبدو في ذرية انتحت كل ما في امكان ارومتها انتاجه . فمن ذلك ان صفحة وجهه المنبسطة تتصل بهكين غليظين . وان الوجنتين البارزتين قليلاً تظهران القسم الادنى من الوجه في شكل مستطيل . كما ان حلمة الاذن في اكثر الرسوم التي تمثل الامبراطور تبدو صغيرة جداً اي ان الاذن تكاد تكون متصلة بالخد لايتدلى منها شيء وهذه الصفة في عرف علماء الهيأة من ظواهر الانحطاط

وقد اصيب غليوم يوم ولادته بضعف في ذراعه اليسرى فحال ذلك دون نمو هذا العضو نموه الطبيعي فكان اقصر من الذراع اليمنى . كما ان اليد اليسرى اصغر من اليد اليمنى واضعف . ولكن غليوم استطاع بقوة ارادته مغالبة ذلك الضعف واخفاءه جهد المستطاع . وكان يمتطي جواده شاهراً سيفه من غير جهد . ثم كان يستعمل البندقية في القنص ويطلق النار بذراعه اليمنى وحدها . ومع صعوبة ذلك كان شديد الرماية

ولعل من اهم الاسباب في تفضيل غليوم الثاني الملابس العسكرية اشتماله على السيف الذي يساعده على اخفاء ذلك العيب الطبيعي بوضعه يده اليسرى على القبضة فلا يبدو قصرها . فاذا لم يفعل ذلك وضع يده اليسرى خلف ظهره او ادخلها في طيات ردائه

***

بقيت لنا في سياق الكلام عن شخصية غليوم الثاني كلمة تتعلق بمقدار تحمله للمداعبات الهزلية ومقدار سخطه على من يمس الكرامة الامبراطورية . رأى صاحب

جريدة هزلية ان ينشر رسماً ينتقد فيه توريةً هوس الامبراطور بالخطابة . وكان الرسم يمثل رجلاً يتطلع في صورة تاريخيـة ثم سأل من هذا فقيل له : هذا غليوم الصموت . فاجابه مبهوتًا . غليوم الصموت ؟ وهل هذا عندنا ؟

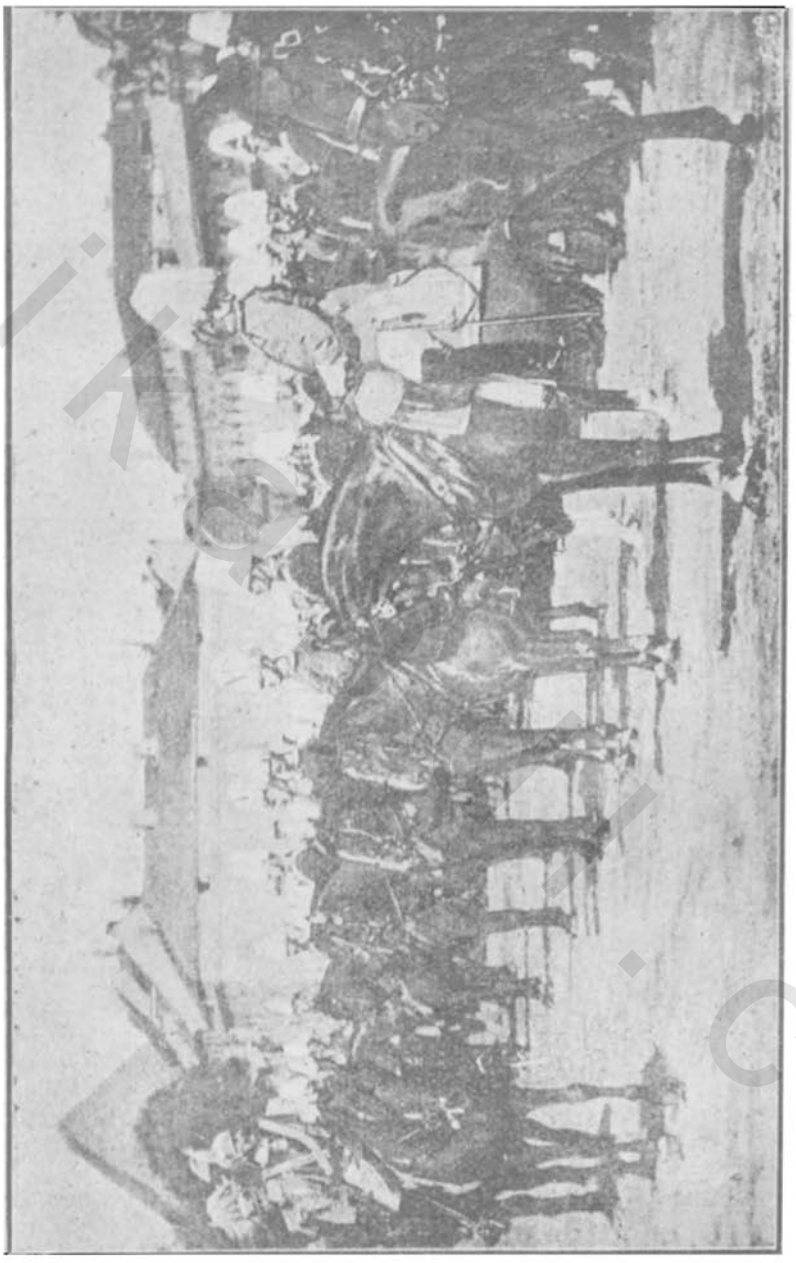

الامبراطور يستعرض ضباط الحرس في بوتسدام

لم يحتمل غليوم هذه المداعبة ورأى ان يقاضي الرجل ففر هذا لعدم استحسانه المصير الى السجن واضطر ان يتغيب عن وطنه سنوات . وما كان احراه ان ينقل

جريدته الى امارة « روس رغريتز » الالمانية حيث لا يُتعرض ابداً لمن يمس الكرامة الامبراطورية . ولذلك سبب لايخلو من فكاهة . كان لهذه الامارة في عهد غليوم الاول ملك يدعى هنري العشرين اقترن باحدى الممثلات (١٨٧٨) فأوحى هذا القران الى احد الظرفاء رسماً مثل فيه الزوجين يتعانقان لاول مرة فكان هنري العشرون يقول لعروسه : « يا حبيبتي الوحيدة » وهي تجيبه . « يا حبيبي العشرين »

ووجد غليوم الاول هذه النكتة غاية في اللطافة فسمح بأن تذاع في المانيا كلها وساء عمله هذا هنري العشرين فثأر لنفسه بأن جعل نفسه حامياً للصحف المعادية للامبراطورية في ما يتعلق بمواضيع القذف والتشهير وسن لهذه الحماية قانوناً خاصاً

اما غليوم الثاني فله في هذا الصدد نظر آخر كما تقدم [1] . ونستسمح القارىء الكريم في اثبات نكتة اخرى من هذا القبيل وان يكن فيها خروج عن الحدود المرعية فليس ناقل الكفر بكافر

---

(١) شتان في هذا الصدد بين غليوم الثاني وجده غليوم الاول الذي كان يدعو نفسه « خادم الدولة الاول » او بينه وبين ابيه فريدريك الحكيم الذي كان يستهدف احياناً لانتقادات شعبه فيتلافى اتساع الخطب بفطنته واناتـه . يروى انه بصر يوماً ، وهو عائد الى القصر ، بقوم مزدحمين يحاولون قراءة نشرة ملصقة على احد جدران القصر الامبراطوري . وكانت ملصقة عالية فكان الناس يقفون على رؤوس اصابع ارجلهم ويمدون اعناقهم ليستطيعوا قراءتها . فأرسل الملك احد ياورانه يستطلع الخبر فعاد اليه بعد هنيهة يقول ان النشرة الملصقـة على الجدار ملوءها القذف بجلالته ، واستأذن ان يرجع فيمزقها . فكان جواب الملك الحليم : كلا بل اذهب والصقها اسفل . . .

اما غليوم الثاني فمن الحـكايات الدالة على صلابته ان قام خلاف في احد الاعوام بين المجلس البلدي والبلاط . فلما كانت الانتخابات البلدية انتخب الاهلون النائب كوفمان رئيساً للمجلس فلم يوافق الامبراطور على تعيينه واعيد الانتخاب فكان الفائز فيه كوفمان نفسه وكانت الاصوات التي نالها ثانية مضاعفة عنها في المرة الاولى . ولـكان استمر هذا النزاع طويلاً لولا ان كوفمان المذكور مرض ومات . . . حسماً للنزاع

رفع فلاح الماني عجوز يدعى فوخ قضية على طائفة من الجند دخلوا حقله في اثناء التمرينات العسكرية وداسوا زرعه فردت المحكمة القضية بحجة ان اولئك الجنود كانوا بقيادة الامبراطور نفسه

فصاح الفلاح العجوز مغضبًا : « الامبراطور ؟ الامبراطور يلحـ . . . . »

Der Kaiser! Der Kaiser! der kaiser mich im arsch lecken!

فأخذ الفلاح تحت المحاكمة وحكم عليه بالحبس تسعة شهور

قالت الكونتة أينجوفن في خواطرها : « وجاء البلاط احد انسباء الفلاح يحاول ان يستعطف غليوم على ذلك المسكين فاستشاط غيظًا وصاح : ان جسارتك لتدهشني . تسألني العفو ، اسألني ان اعفو عنك انت اولاً . ومع هذا فانا ارضى بأن اتناسى فعلك الجنوني . . . أتدري ما كانوا يفعلون في الماضي بامثالك . ان أمثالك كانوا يحسبون انفسهم سعداء اذا كانوا لايقطعون اربًا اربًا

« ثم ادار الامبراطور نظره فرآنا ملتفّين حوله فقال : ينبغي ان اصرح في هذا الموضع بكل ما يجول في خاطري . ربما يتفق لي ان اعفو عن قاتل سفاح ولكني لا ارحم قط من يهين رأسًا متوجًا . . . فان مثل هذا الجاني في نظري اعظم من القاتل جناية عشر مرات . اما فوخ فأرى انه لم يعاقب كما يستحق . ان لسانه الوسخ اهان مسيح الرب زعيم الامة الجرمانية . فليس له عندي رحمة ولا عطف (اه)

الفصل الحادي والعشرون

الملابس الامبراطورية

ورد في اغنية فرنسوية ان رساماً كلف ان يضع رسماً رمزياً للازياء الفرنسوية فلم يزد على ان رسم رجلاً على ذراعه قطعة قماش . يريد بذلك الاشارة الى عجزه عن ان يمثله بشكل خاص ما دام تعدد الاهواء وتضارب الاذواق قضى بأن يكون لكل يوم زي

كذلك غليوم الثـاني ليس له شكل من الملابس يختص به لان له الاشكال جميعها . وكانت له في قصر بوتسدام اربع ردهات لخزائنه . فهو من حيث تبدل شكله الخارجي مع تبدل الظروف كابناء كوريا من حيث تبديلهم شكل تسريح شعورهم لكل مظهر من مظاهر الحياة . فقد كان يتفق كثيراً ان يغير غليوم الثـاني ملابسه سبع مرات او ثمانياً في حفـلة لاتعدو مسافة ساعتين . فيلبس لكل زائر لبوسه . فاذا زاره ضابط لبس بزة سلاحه . او جاءه ابن قائد مثلاً ينعى اليـه اباه ارتدى لاستقباله بزة القائد المتوفى . واذا استقبل سفيراً اجنبياً لبس بزة قائد بروسي وزان صدره بوسام الدولة التي ينتمي اليها السفير

شخص غليوم الثاني في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) من عام ١٩٠٢ الى انكلترا لزيارة خاله ادوار السابع فلما قارب اليخت هوهنزولرن الارساء تطلع الانكليز القادمون لاستقبال العاهل الالمـاني بنظاراتهم المكبرة فابصروا الامبراطور يتمشى على ظهر اليخت وهو مرتدٍ برداء ضباط الفرسان الطويل . وأرسى اليخت فصعـد المستقبلون الى اليخت فاذا الامبراطور في بزة اميرال انكليزي . وفي منتصف الساعة العاشرة نزل غليوم الثاني الى البر فاذا هو في بزة كولونل في الاي الحرس الاول . قالت الطان راوية الخبر : وقبل وصول الامبراطور الى لندن غير مرة اخرى . فلما نزل في المحطة اذا هو بالردنجوت والقبعة الحريرية

واستقبل غليوم الثاني مرة كوكلين الاكبر الممثل الفرنسوي الكبير فاكرمه بأن وضع في عروة ثوبه شارة الوسام الفرنسوي « البلم اكاديمك »

وخضوعاً لهذا الهوس جعل غليوم الثاني الى جانب غرفة عمله غرفة خاصة لزينته يختلف اليها غير مرة في النهار

وفي الجملة فعدد ما تحويه الخزائن الامبراطورية من الملابس الرسمية لا ينقص عن عدد ما في الجيش البروسي من الالايات ، مع كل ما يلحقها من خوذ وكبابيت ورمانات وسيوف ودروع ، من مشاة ومدفعيـة وفرسان – على تعدد اصنافهم – وجنود حرس على اختلاف اسلحتهم واشكالهم . وكذلك جنود البحر

الامبراطور في ثياب القنص

وعدا هذا فان لغليوم الثاني وظائف في الايات الحكومات الالمانيـة المتحالفة مثل بافاريا وسكسونيا وباد وهلم جراً . ولكل وظيفة بزتها الرسمية . كما ان له وظائف فخرية في جيوش انكلترا وروسيا (هذا كله بالطبع قبل الحرب) والنمسا وايطاليا واسوج الخ وفي بحرياتها ولكل منها بزتها الرسمية

يتضح مما تقدم ان الامبراطور وحده كان يشغل معملاً كبيراً من معامل

الخياطة . هذا مع صرف النظر عن ثياب الصيد الاعتيادية والرسمية وبزات الاندية البحرية التي هو من اعضائها في المانيا وانكلترا . وملابس الالعاب الرياضية على كثرتها . اضف الى كل هذا ملحقاته من قبعات وقفازات وعصي وما شاكل ذلك

على ان ثمة شكلاً واحداً من اشكال الاردية لايقع من غليوم الثاني موقع الاستحسان وهو القفطان الذي يلبس عند النهوض من النوم (Robe de chambre.)

رووا ان صاحب معمل جوخ في المانيا الجنوبية اهدى الى الامبراطور غليوم الاول بعد الحرب السبعينية قفطاناً مزركشاً بالذهب فأعيد اليه مع رقعة مكتوب عليها « آل هوهنزولرن لايلبسون قفطاناً » وعلى هذه العادة جرى جد غليوم الثاني وابوه فحذا فيها حذوهما . بيد ان لكل قاعدة شذوذاً — وما اكثره في سيرة غليوم الثاني — فهو قد لبس مرة قفطاناً والحكاية تستحق الاثبات

معلوم ان غليوم الثاني يتعاطى غير واحد من الفنون الجميلة فهو رسام وهو موسيقي وهو شاعر — وقد وضع بالاشتراك مع ولدنبروخ مأساة وابرزها للتمثيل . وقد شاء ان يكون فوق ذلك روائياً فلما شرع في كتابة الصفحة الاولى من روايته تذكر بلزاك الروائي الفرنسوي الشهير فاراد الاقتداء به فلبس قفطان نوم . ولكن غليوم الثاني لم يتجاوز في روايته الصفحة الاولى واعيد القفطان الى الخزانة

وكذلك يمقت غليوم الثاني البذلة السوداء مقته لكل لباس غير عسكري . من اجل هذا استصنع للصيد والقنص بزة رمادية تعلوها قبعة تيرولية من لونها وتعلو القبعة ريشة ديك . وطرازها اقرب ان يكون عسكرياً

ويعاون القيم على اثواب الامبراطور جيش من الاعوان للخياطة والتصليح فان التوفير والاقتصاد من القواعد الاساسية في القصر . ولقد كان غليوم الاول ضنيناً بماله على نفسه وجواداً على المقربين منهُ متلافاً . فنشأ حفيده غليوم الثاني على خلقه اكثر ما ينفق عن سعة على المآدب والاحتفالات الكبرى والهدايا الى الامراء

الى هذه المجموعة يضاف ما لدى الامبراطور من الاوسمة المختلفة وتقدر قيمتها بمليون مرك . وهي محفوظة في خزائن خاصة . ويحمل غليوم بعضها في رحلاته ليزين بها صدره في الاحتفالات

اما خزائن ثياب الامبراطورة فني عهدة قارئاتها وهي ليست بشيء بالنسبة الى خزائن ثياب غليوم الثاني لان الفساطين تتبدل ازياؤها ما بين حين وآخر . والمشهور عن الامبراطورة ايثارها البساطة في داخليتها ولكن الاحتفالات الرسمية – وما اكثرها في برلين – تتقاضى نفقات طائلة . لانهُ اذا تزوج مثلاً احد افراد الاسرة الامبراطورية فعلى الامبراطورة ان تستصنع لا اقل من خمسة عشر فسطانًا دفعة واحدة لانها لا تلبس في الحفلات العمومية الكبرى الفسطان الواحد غير مرة واحدة في الغالب . ثم تصلحه وتلبسه مرة اخرى . ثم يفصل ويستعمل قماشه في اثواب اخرى أو يهدى الى احدى نساء البلاط

على ان غليوم الثاني كثير التنبه لملابس امرأته ولا سيما في الحفلات الرسمية الكبرى . ومما يروى في هذا الصدد ان الامبراطور كان مع الامبراطورة ذات مساء في حفلة راقصة اقامها اكرامًا لهما الملك همبرت الايطالي في عاصمته رومة . فابصر الملكة مرغريت في ثوب انيق جعلها مظهر اعجاب في تلك الليلة الحافلة ، ثم حول نظره الى زوجته اوغستا فكتوريا فبدت له ، مع شدة تأنقها ليلتئذٍ ، كأنها دون الملكة الايطالية رتبة ، واستشعر من جراء ذلك على نوع ما خجلاً ، لانه اعتبر حطة في قدره ان تكون زوجته دون زوجة حليفه أنقًا ورواء

وانما كان السر في ان ثوب الملكة مرغريت كان مستصنعًا في باريز وثوب الملكة اوغستا فكتوريا من صنع برلين

ثم ان الامبراطورة تبرز في الحفلات متألقة بالحلى الثمينة والجواهر الكريمة . في شعرها واذنيها ومعصميها وعنقها وعلى صدرها . وليست تلك الحلى كلها ملكًا لها بل الجانب الاكبر ملك تاج بروسيا وتلبسها بصفتها ملكة بروسيا . اما حلاها الخاصة فهي التي جاءت بها يوم عرسها وما اهدي اليها في ذلك اليوم من الامبراطور وسواه وما ورثته عن آلها

واما في الايام العادية فان الامبراطورة لاتلبس حلى ولا مجوهرات . ويقال ان غليوم الثاني كان يستحسن ذوق امرأته المحتشم حتى قال لها ذات يوم ولم يكن في يدها غير خاتم الخطوبة : تعجبيني هكذا ياغوستل (وهو تصغير تحبب لاسم اوغستا)

الفصل الثاني والعشرون

غليوم امام آلة التصوير

انقضى اليوم ذلك العهد عهد احتجاب الملوك في قصورهم عن ابصار رعاياهم كأنهم آلهة او شبه آلهة واصبحنا وليس من يجهل مكنونات تلك القصور . واصبح الملوك في ايامنا لا مطمع لهم في غير استرضاء الشعب واستهوائه بالتزلف اليه والظهور بين ظهرانيه في مظاهر روائية خلابة للابصار . بل هم علاوة على خطب مودة شعوبهم يحاولون امتاع نفوسهم بضرب من الخلود النوعي وذلك بابقاء رسومهم من بعدهم للخلف . من اجل هذا كان الملوك على الدوام اخلاء اوفياء للمصورين . ولاغرو فحب الشهرة يزداد في الانسان نماء كلما ازداد في الرقي في ما اتفقوا على تسميته « سلم الاجتماع » فكيف به اذا كان ممن بلغ قمة ذلك السلم وكان « عاهل امبراطورية الالمان »

ولقد حدث المستر روسل – احد كبار المصورين الانكليز – أحاديث مدهشة عن مواقف غير واحد من اصحاب التيجان امام آلته المصورة . فما رواه عن الملكة فكتوريا انها لم تكن لها ارادة غير ارادة المصور . يجاسها الجلسة التي يستصوبها وتفسح له في الوقت غير شاكية مللاً حتى يرى ان عمله بلغ الحد المنشود من الاتقان . ولكنها بصفتها امرأة كانت مستسلمة الى ضرب من الضعف فقد كانت لاتسمح ابداً للمصور ان يصورها مرتين بتسريحة واحدة

وكذلك ابنها ادوار السابع فقد كان شديد الشغف بتصوير نفسه . قال المستر روسل : كنت في سنة ١٨٩٥ في كوبورغ فالتقيت في الشارع اتفاقاً بالبرنس دي غال (ويعني ادوار السابع فقد كانت الملكة فكتوريا لا تزال في قيد الحياة) فقال لي : « تعالَ غداً الى روزنو فسنكون هناك زمرة طيبة ويتسنى لك أن تأخذ صوراً كثيرة » ثم اوعز الى حاجبه بأن يستحصل لي الرخصة اللازمة

وذهبت في اليوم التـالي الى القصر فلم يسمح لي بالدخول . واتصل الامر بالبرنس دي غال فأدخلني فاذا انا والحق يقال في زمرة طيبة من الملوك وولاة العهود والامراء . فأخذت رسوم اكثرهم جماعات وافراداً . وبينما أنا على وشك الانصراف دنا ولي عهد انكلترا مني وقال لي : ألك من حاجة بعد ؟ قلت نعم فاني أحب أن اضيف الى مجموعتي صورة للامبراطور غليوم الثـاني . فجعل البرنس يصيح : اين امبراطور المانيا . يسألون عن امبراطور المانيا . وسمع غليوم الثـاني خاله يناديه فسأله عما يريد فكاشفه برغبتي في تصويره فقال لي الامبراطور : لقد صورتني غير مرة فلا داعي لتصويري اليوم . فأجبت عفواً يا صاحب الجلالة فأنا لم اصور جلالتكم بعد بالملابس الحالية . فابتسم الامبراطور ووقف امام الآلة راضياً . وانما كان اعتراضه في الاول صورياً فقط

غليوم الثاني في بزة اميرال الماني

غليوم الثاني في بزة جنرال اسباني

ويظهر ان الصورة الاخيرة اعجبت غليوم الثاني كثيراً . ودليل ذلك انهُ بعد بضعة شهور علم بوجود المستر روسل في برلين فاستدعاه الى قصر بوتسدام وكان قد ضرب له الساعة الثامنة من الصباح ميعاداً . ففات الميعاد ولم يصل المصور فاضطر الامبراطور ان ينتظر . ثم اقبل المستر روسـل الساعة التاسعة واعتذر بفوت

القطار اياه ولكن الامبراطور لم يهتم لاعتذاره واسرع بالوقوف امام الآلة مسروراً وكأنهُ يقول له بلسان حاله : « ان تبطىء خير من ان لاتجيء »

والذي أدهش المستر روسل بنوع خاص سرعة الامبراطور المدهشة في تغيير ثيابه . وقد قال : صورته في بضع دقائق في بزة قائد بروسي وعلى جواد وفي بزة كولونل في فرقة الفرسان وكان يحرص على الدوام على ان تكون مواقفه فخمة بينما كان سواه من الامراء والعظماء يحرصون على ان تكون مواقفهم طبيعية (اهـ)

على ان لغليوم الثاني صورة لم يسعد الحظ غير افراد قلائل بالاطلاع عليها . هذه الصورة تمثله على عرشه ، وعلى كتفيه الوشاح الارجواني الضافي ، وفي يمينه الصولجان ، وعلى كفه اليسرى الكرة الامبراطورية وعلى رأسه تاج (ولكن من الورق المقوّى) على مثال تاج شرلمان الكبير

ولهذه الصورة حكاية لا بأس من بسطها في هذا الموضع

كانت امنية غليوم الثاني القصوى من بعد جلوسه على العرش ان يتوج في حفلة رسمية . ولكنهُ لم يتوّج قط . فان ملوك الاتحاد الالماني وامراءه وقفوا حجر عثرة في سبيل تلك الرغبة الامبراطورية (١) اعتبار ان التتويج الرسمي اذا حصل خوّل غليوم الثاني « الامبراطور الالماني » الحق في ان يدعو نفسه « امبراطور المانيا » و بين العنوانين نظر

---

(١) لم يكن غليوم الثاني ، وخصوصاً في اوائل عهده ، على صفاء تام مع ملوك وامراء الاتحاد الالماني ومن شواهد ذلك النادرة الآتية :

كان بلاط بافاريا اقرب الى الدموقراطية منه الى الاستبداد ، فلم يكن هذا ليروق في نظر غليوم الثاني . واتفق ان وافى مونيخ العاصمة البافارية وزار مجلسها البلدي فقدم له الرئيس الكتاب الذهبي وفيه تواقيع العظماء فكتب غليوم باللاتينية ما معناه : « لاشرع غير الارادة الملكية » . ولم يكن غير ايام حتى وافى المجلس البرنس لويتبولد القيم على الملك في بافاريا فلما اطلع على العبارة الامبراطورية كتب الى جانبها باللاتينية ايضاً : « مصلحة المملكه هي الشرع الاعلى »

وكان غليوم الثاني لم يحسب حساب هذه المعارضة . فاستصنع في سنة ١٨٩٢ عرشًا خاصًا للحفلة المنوية . ثم اوصى على تاج يقلد تاج امبراطور المغرب شرل الاكبر (لان التاج الاصلي كان صغيراً على رأسه) . ولكن العرش والتاج حفظا في عداد الآثار المحفوظة ولم يتمتع غليوم الثاني بهما غير دقائق معدودة امام آلة التصوير

بعد اخذ الصورة اوصى الامبراطور المصور باتلاف الزجاجة الاصلية ففعل ولكن بعد ان حفظ لنفسه نموذجًا منها بقي زمنًا بين اوراقه . ثم اتفق ان زاره مثري اميركي فعثر على الصورة السرية وأمسك بها بيديه الثنتين ثم اغرى المصور بمبلغ كبير من المال فتنازل له عنها فرأى ابناء العالم الجديد الامبراطور الالماني جالسًا على عرش وعلى رأسه تاج شرلمان ، ولكن من المقوّى (الكرتون) كتيجان ملوك التمثيل

الفصل الثالث والعشرون

غليوم الثاني متفنناً

يؤثر عن غليوم الثاني انه ولوع بالفنون الجميلة ، من الرسم ، الى الموسيقى ، الى الشعر [١] ... حتى ان احدى الصحف الهزلية الالمانية Simplicissimus شبهته بنيرون ولكن من حيث ولعه هذا فقط . نعم ان العاهل الالماني لم يكن يضرب على القيثار ويتغنى في الاندية العمومية كزميله الامبراطور الروماني . ولكنهُ كان ينظم الشعر ويؤلف قطعاً موسيقية . وهو على اعتقاد تام انهُ نابغة كل فن . ثم ان غليوم لم يكن بالعاهل الظالم الصلب الفؤاد كنيرون مضطهد المسيحيين ومضرم النار في العاصمة الرومانية الكبرى لمجرد التسلية . اللهم الا اذا اعتبرنا من هذا النوع اضطهاده للبولونيين ثم للألزاسيين من بعدهم ، واضرامه نار الحرب الكونية الكبرى تلبية لداعي الاطماع السياسية والاهواء النفسية

ومهما يكن فان اشتغال غليوم الثاني في الفنون الجميلة انما يرجع الى اوائل عهده قبل ان يتطور تطوره الخلقي والسياسي المشهور . قال المسيو أيم استاذه الفرنسوي في

---

(١) كاد ميل غليوم الثاني الى الفنون الجميلة يفضي الى مشكلة سياسية . وحكاية ذلك ان الندوة البافارية نظرت ذات يوم في اقتراح يرمي الى ارصاد مئة الف مرك لميزانية الفنون الجميلة فرفضت الاكثرية — وكانت اكليريكية — الاقتراح . فغضب غليوم الثاني لهذا الرفض وارسل تلغرافاً شديد اللهجة الى امير بافاريا البرنس لويبولد يستنكر فيه رفض الندوة لذلك المبلغ ويتبرع بالقيمة من جيبه الخاص . فقامت بافاريا وقعدت لتدخل غليوم الثاني في شؤون بافاريا الداخلية وكان من جراء ذلك استقالة الكونت كريشيم رئيس الوزارة البافارية . بيد ان الامير كان حكيما فرد على الامبراطور رداً لطيفاً ورد تبرعه بكياسة بدعوى ان احد المستشارين البافاريين تبرع بالقيمة المرفوضة وقضي الامر

كاسل : « كان للانشاد الجميل والشعر تأثير فعال في البرنس . فكان يترنح طرباً كلما وقعت اليهِ قطعة بليغة المعنى ، فصيحة المبنى ، كما كان شديد الارتياح الى الاخلاق الكريمة الحرة . ولذلك يدهشني اصداره قطعاً موسيقية لا مؤلفاً ، في حين انه كان شديد الحرص على التشبه بفريدريك الكبير » .

على اننا نقول ان فريدريك كان معروفاً بالميل الى الرسم والشعر في وقت معاً حتى اصبح آل هوهنزولرن يعتبرون فن الرسم من مميزاتهم . اما الثقات فيؤكدون ان الرسوم المنسوبة الى فريدريك والعظات المعزوّة الى غليوم انما هي من صنع طائفة من المرتزقة تنازلت عنها في مقابل كسرة خبز . . . ثم ان القول بأن غليوم الثاني وضع قطعاً موسيقية فيه نظر . فهو انما جمع بعض القطع الموسيقية القديمة وجدد رواءها . وقد اهدى منها مجموعة الى الوزير الفرنسوي جول سيمون

اما القطعة الشعرية الموسيقية المعروفة بعنوان « نشيد هاجر » Hymne à Aegyr وهي منسوبة الى غليوم الثاني فقد ذكر الكونت هتسندورف – ضابط مراسلة ولي العهد الالماني – في كتاب « اسرار بوتسدام » انها من وضع البرنس فليب اولانبرغ (صاحب الحادثة المشهورة) والكونت الجنرال دي مولتكه وكان موسيقياً ماهراً

لما انشئت جامعة الفنون الجميلة (١٩٠١) في برلين وقف غليوم الثاني خطيباً فقال مخاطباً الاستاذ يواكيم : انت لا تجهل الاهمية التهذيبية التي ارجوها من الموسيقى ومن تعليم هذا الفن الجميل . فانا ادعوك والحالة هذه الى ان تتفهم بنوع خاص مقدار تأثيرها على العقل وعلى القلب . فالموسيقى تنور النفس وترفعها وتصوغها صيغة جديدة . واني لعلى يقين ان كل هيأة التعليم تنهج في التعليم هذا المنهج ولا تحيد عنه »

وقال مرة أخرى مخاطباً ممثلي الملهى الملكي في برلين . « ان التمثيل هو احد اسلحتي في تقلد مقاليد الاحكام » . ولا بدع أفلم يكن في كل مواقفه السياسية والاجتماعية كأنما هو يمثل رواية حية

اما ذوقه الموسيقي فمخالف على ما يظهر لاجماع الشعب الالماني فلقد قال مرة :

اما واغنر فلا احبه . فهو كثير الضوضاء . وانما تروق لي الموسيقى الجامعة بين اللذة والبساطة موسيقى غلاك (١)

ولشقيق الامبراطور البرنس هنري نزعة الى التأليف في الموسيقى . وقد وضع نشيداً للفرقة الاولى البحرية . والامبراطور بارع في الضرب على البيانو وهي لاتبرح تحت طائلة يده حتى في عهد التمرينات العسكرية الكبرى

وهل بلغ مسامع احد ان غليوم الثاني رأس عملياً جوقة موسيقية ؟ فلقد حصل ذلك غير مرة . في ٦ دسمبر سنة ١٩٠٠ كان غليوم الثاني في برسلو وفي معيته البرنس دونّر سمرك . والكونت والدرسي . والجنرال الكونت دي مولتكه . وكانت موسيقى فرقة الفرسان تعزف في اثناء الغداء . فلما قاموا طلب الامبراطور من الجوقة التمثيلية ان تضرب قطعة موسيقية قديمة ترجع الى سنة ١٤٠٢ كان دي مولتكه – وقد قلنا انهُ موسيقي بارع – قد اكتشفها وعلمها لموسيقي الجيش . ثم اخذ من رئيس الجوقة « أداة القيادة » ووقف في وسط الحلقة الموسيقية وشرع في ادارة العزف . فلما انتهت القطعة سلم « الأداة » الى الكونت دي مولتكه قائلاً له « هذا دورك » ففعل

واعاد غليوم الثاني العمل نفسه مرة بحضور كوكاين الممثل الفرنسوي الشهير . وكان الامبراطور وحاشيته والممثل الفرنسوي في ضيافة البرنس دي فورستنبرغ . قضوا النهار في الصيد والقنص ثم التموا في المساء في الردهة يصغون لنغمات احدى جوقات الجيش الموسيقية ، وكانت تكاد تبعث بعزفها من في القبور . . . ورأى الكونت والدرسي ان الامبراطور قام من موضعه واتجه نحو الجوقة الموسيقية فقال للممثل الفرنسوي سترى شيئاً مدهشاً . . . فالتفت كوكاين فابصر غليوم الثاني قد اخذ موضع رئيس الجوقة واضطر الموسيقيين ان يعيدوا القطعة عينها ولكن بسرعة مدهشة . ولما عاد الامبراطور قال وهو يضحك يسرني اني القيت على جيشي درساً موسيقياً نافعاً

---

(١) خريستوف ويليبلد غلاك مؤلف موسيقي الماني شهير واضع عدة روايات تمثيلية من نوع الاوبرا (١٧١٤ — ١٧٨٧) واما واغنر (ريشار) فمؤلف موسيقي الماني ايضاً . ويعتبر احد نوابغ الموسيقى في المعمور (١٨١٣–١٨٨٣)

فقال كوكلين أبعد تعب هذا النهار تستطيع جلالتكم القيام باعباء مثل هذا العمل المتعب ؟ فاجاب غليوم : يجب أن يكون المرء على الدوام مستعداً لان يعمل ما يرى ضرورة عمله . على ان الموسيقيين أضاعوا رونق هذه القطعة ، في حين ان المعول الاول في الموسيقى على الحركة . وعندي ان القطع الموسيقية القديمة من المانية أو هولندية أو فرنسوية أعلى وأنفس مما يضعون اليوم من القطع التافهة . أتدري أية قطعة تعجبني بنوع خاص . فقال كوكلين ألعلها قطعة فرنسوية يا صاحب الجلالة اجاب نعم وهي La Marche de Turenne نشيد تورين[1] فقال هو داخل في القسم الموسيقى من رواية L'Arlésienne التي امثلها . قال كنت أحب سماعها . فهل تعدني بتمثيل هذه الرواية في برلين أجاب أتعهد لجلالتكم بذلك . فقال وأنا أعدك بحضورها ولا أملّ من التصفيق لك ...

وأنجز كوكلين وعده فجاء برلين في ٢٣ يناير سنة ١٩٠٢ ومثل الرواية المذكورة وحضرها الامبراطور

***

واشترك غليوم الثاني مع القومندان جوزيف لوف في تأليف رواية « البورغراف او فجائع هوهنزولرن » ولكن عملهما لم يصادف نجاحاً . ورأى مدير المرسح ان يرفع عن الامبراطور تبعة ذلك الفشل فادعى ان الشاعر (لوف) ظهر اعجز من أن يستطيع ابراز أفكار الامبراطور السامية

واشترك الامبراطور مع ولدنبروخ حفيد البرنس لويس البروسوي في تأليف رواية أخرى . من أجل هذا كان غليوم الثاني لايبرح يقول « ان دمنا يجري في عروق ولدنبروخ . ولولا ذلك لما بلغ درجة النبوغ » ولكن العارفين يقولون ان في نسبة النبوغ الى المذكور نظراً

---

(١) تورين (هنري دلاتور دوفرن . فيكونت دي) اشهر رجال الحرب وابرع رجال الفن في عهد كان حافلا بكبار القواد . عين مرشالا سنة ١٦٦٠ ولقي حتفه في ميدان القتال مصاباً بقنبلة في قلبه . (١٦١١ — ١٦٧٥)

وقد مثلت هذه الرواية ليلة عيد الامبراطور غليوم الاول ودعا اليها غليوم الثاني نحو سبع مئة مدعو خرج اكثرهم قبل انتهاء التمثيل

اما ولع غليوم الثاني بالرسم فمعروف . وكان يملك مجموعة ثمينة من رسوم اساتذة التصوير الفرنسويين في القرن الثالث عشر . وقد شوهد بعضها في القسم الالماني في معرض باريس سنة ١٩٠٠ . هذه الرسوم كانت قد نزعت من أُطرها والقيت بازدراء في مستودعات القصر . ولكن غليوم الثاني اعادها الى مواضعها وجعلها في أطر من فضة

أما في العهد الاخير فان غليوم الثاني كان اذا عرض عليه مديرو المتاحف جداول الرسوم الراغبين في مشتراها حذف الاسماء الفرنسوية وأبقى على الاسماء الألمانية

ثم ان في غرفة الامبراطور « اصول » رسوم كان غليوم الثاني قد بدأ بها ثم أتمها المصورنا كفوس . وحسبنا في وصف الرسوم الامبراطورية الشاهد الآتي :

كان الرسامون الالمانيون بالاجماع يستهجنون رسوم الامبراطور ولكنهم لا يجسرون على انتقادها علانية مخافة أن يناهم ما نال الكاتب البافاري بنز الذي حكم عليه بالسجن سنتين لانتقاده النظرات الامبراطورية الفنية في كتاب خاص بعث به الى « صديق » له يدعى هرتمن . فلم يكن من هذا « الصديق » الا أن حمل الرسالة الى النائب العمومي وكان ما كان

ولا ندري من اعظم ذنباً . هل الكاتب المنتقد ، ام الصديق الخائن ، أم النائب العمومي ، أم الامبراطور نفسه اذا كان اتصل به — وهو ما نرجحه — خبر التهمة الموجهة الى المدعى عليه وسمح بانزال العقوبة فيه بوشاية واشٍ اثيم ...

الفصل الرابع والعشرون

غليوم واعظاً

كانت لغليوم الثاني شهرة جامعة تناولت كل موضوع . وفي الجملة الوعظ والارشاد . ولا بدع وهو زعيم البروتستانية الاكبر ان يبرز لنا واعظاً على منبر الارشاد أوتي الحكمة وفصل الخطاب

الامبراطور غليوم في بزة الناخب الاكبر

وان عظات غليوم وخطبه وشيئاً من رسائله مجموعة في كتاب منسوب اليه عنوانه « الامبراطوريات او القيصريات » Kaiserreden اما نسبتها اليه فليست بالبرهان الدامغ على ان مشتملات الكتاب وهي تربو على اربع مئة قطعة كلها من

بنات افكاره . قال احد نقادها « ان اكثرها ظاهر عليه التهذيب الكثير ، كما ان في انشائها عبارات طويلة آخذاً بعضها برقاب بعض بحيث يكاد يكون من المستحيل ان تكون قيلت عفو الساعة وفيض القريحة وهو ما يفعله الواعظون عادة ، ولذلك أجمع المطلعون على ان عظات غليوم الثاني الدينية والكثير من خطبه السياسية موضوع له ، الاولى وضعها قسسه ، والثانية ساسته وكبار وزرائه

فمن امثلة عظاته الدينية السياسية عظة القاها يوم ٢٣ يونيه سنة ١٩٠١ على بحارة يخته هوهنزولرن الخاشعين ، وكانوا على اهبة السفر الى الصين في الحملة العسكرية الالمانية على اثر فتنة البوكسر المشهورة . اتخذ غليوم الثاني موضوعاً لعظته هذه « ضرورة الصلاة » فذكر فيها كفاح بني اسرائيل في الصحراء ، ثم ما احرزوه بعد ذلك من الفوز على العمالقة بفضل صلوات موسى وهارون . وقد خيل لسامعيه يومئذ انه كان يوحى اليه كما اوحي الى نبي الله ايليا ، والنبي حزقيال . . . قائلاً ما رددته عنه بعد ذلك الممثلة الفرنسوية ساره برنار الشهيرة في العواصم الاوربية : « ان الله جعل في قلوب الناس اجراس الصلاة . هذه الاجراس تظل ساكنة ساكتة ما ظلت شمس السعادة البشرية مرسلة اشعتها الذهبية الى المعمور . حتى اذا هبت الاعاصير جاعلة الشقاء من السعادة بديلاً . فانها يكون لها دوي يتجاوب في الآفاق صداه »

ثم تطرق من هذا الى المهمة التي كان رجال الحملة في ذلك الوقت منتدبين لها

وقد أشرنا في فصل سابق في الكلام عن معتقد غليوم الثاني في نفسه من حيث انه آلة في يد الله الى رسالته المشهورة الى الاميرال هولمان . ثم عثرنا بعد تقديم ذلك الفصل للطبع على صورتين لتلك الرسالة احداهما فرنسوية والاخرى عربية (نقلتها مجلة الجامعة في الجزء الثاني من سنتها الرابعة عن النشرة الاسبوعية البيروتية في سياق مقال لها عن حمورابي) هذه الرسالة كتبها غليوم الثاني رداً على خطبة القاها الاستاذ دليتش الالماني في موضوع الوحي بحضور الامبراطور والامبراطورة واختتمها بقوله : « اننا نضع يدنا على قلبنا ولا نحتاج الى وحي غير الوحي الذي يصدر لنا منه »

والرسالة طويلة مسهبة ويمكن ان تعتبر شطرين . اما الاول فيرد الامبراطور فيه على الاستاذ دليتش ويأخذ عليه خروجه من الدائرة العلمية البحتة الى الشؤون الاعتقادية وانتقاد عقيدة الوحي . وينتقد عليه بنوع خاص انه فاه بتصريحاته هذه امام جمهور قد تؤثر فيه اقواله وتزعزع معتقداته . واما الشطر الثاني وهو الاهم فيبسط فيه الامبراطور اراءه الشخصية في هذا الصدد وفي ما يعتقده في نفسه . وهو ما ننقله في هذا الموضع . قال غليوم الثاني :

« والآن فانني في ما يختص بالاعتقاد بالوحي اعود الى رأيي الذي بسطته غير مرة لك يا عزيزي هولمن ولكثيرين غيرك . فانني اعتقد بنوعين من الوحي مختلفين الواحد وحي مستمر وهو تاريخي بلا شك ، والثاني ديني محض لانه انما كان تمهيداً لمجيء السيد المسيح

« اما رأيي في الوحي الاول فهو دون اقل ريب ان الله يظهر دائماً في الجنس البشري الذي هو خليقته وصنيعته ، فهو الذي « نفخ في الانسان روحه » اعني منحه شيئاً من ذاته اي نفساً حية . وهو يراقب نمو الجنس البشري بعناية الاب ليحسن احواله . وهو يظهر تارة في رجل عظيم هنا وطوراً في رجل آخر هناك ، سواء كان الرجل كاهناً أو ملكاً ، وسواء كان بين الوثنيين او اليهود او المسيحيين

« ولقد كان حمورابي من هؤلاء الرجال كما كان موسى ، وابراهيم ، وهوميروس وشرلمان ، ولوثير ، وشكسبير ، وغوت ، وكانت ، والامبراطور غليوم الكبير . فان الله اختارهم ورآهم اهلاً لان يعملوا بحسب ارادته اعمالاً عظيمة ، لا تفنى ، خدمة لامهم ، سواء كان ذلك في الحيز الروحي او في الحيز الزمني . وكثيراً ما كان جدي غليوم الكبير يقول انه لم يكن سوى آلة في يد الله

« فالله اذن يرسل اعاظم الرجال للبشر ليستفيد هؤلاء من ثمار عقولهم ويكملوا نموهم ويتمكنوا من المسير في تيه هذه الحياة وطرقها المجهولة . ولا شك في ان الله ظهر في عدة اشخاص على ضروب مختلفة وذلك بحسب حالة الامة ودرجتها من الحضارة ولا يزال يظهر حتى في عصرنا هذا

« اما النوع الثاني من الوحي وهو الوحي الديني المحض فهو الوحي الذي كانت نهايتـــه ظهور المسيح . وهذا الوحي بدأ يظهر من زمن ابراهيم ببطء ولكن بحكمة ولولاه لقضي على الجنس البشري . وبحسب هذا الوحي انمى نسل ابراهيم الايمان بالله واحد ، وهو الايمان الذي كان من الضروري حفظه ، وهذا النســل لم يستطع النهوض الا بمعونة الله له ، وما زال حافظاً هذا الايمان من قرن الى قرن والحوادث يتلو بعضها بعضاً حتى ظهر المسيح وكان ظهوره اعظم ظهور ظهره الله في العالم

« ذلك لان الله ظهر يومئذ في شخص الابن بشكل بشري . وهو مخلصنا ، وهو الآن يملؤنا حماسة ويدعونا الى اتباعه ، واننا لنشعر بناره تحرق في داخلنا ، ورحمته تعزينا ، وان كان غضبـــه يفنينا فان شفقته تحيينا ، ومتى كنا متبعين وصاياه فاننا نقتحم كل شيء ولا نخاف شيئاً ، لا التعب ، ولا الاحتقار ، ولا الحزن ، ولا الفقر ، ولا الموت ، لاننا واثقون من النصر ، وذلك لاننا نسمع منـه الكلام الموحى به من الله وهذا الكلام يصدق دائماً

« هذا هو رأيي في هذه المسألة . فان « الكلمة » قد صار عنـــدنا نحن التابعين للكنيسة البروتستانية بمنزلة كل شيء . وذلك من فضل لوثير . ولقد كان على دليتش ان لا ينسى ما كان لوثيرنا العظيم يعلمنا انشاده والنداء به وهو : « يجب عليكم ان تبقوا على الكلمة »

« وعندي ان من البديهي ان التوراة تحتوي على عدة فصول من اصل تاريخي اي بشري محض ، وليست كلاماً موحى به من الله . وهذه الفصول هي تاريخ حوادث عديدة حدثت لشعب اسرائيل في حياته السياسية والدينية والادبية . مثال ذلك الفصل الذي ورد فيه ان الله اعطى موسى على جبل سيناء شريعة بني اسرائيل فانني اعتقد انه لا يمكن اعتبار تلك الشريعة موحى بها من الله الا اعتباراً شعرياً رمزياً . لان موسى على الارجح نقل تلك الشرائع عن شرائع اقدم منها ، وربما كان اصلها مأخوذاً من كتاب شرائع حمورابي ثم اضافها الى شرائع امته وقوّاها بها وربما قدر المؤلف ان يجد اتصالاً بين شرائع حمورابي صاحب ابرهيم الخليل و بين

شرائع بني اسرائيل لفظاً ومعنى . ولكن ذلك لا يمنع قطعياً من الاعتقاد بأن الله قد اوحى الى موسى وانه ظهر لبني اسرائيل بواسطته

« ولذلك ارى انه يجب على استاذنا الظريف ان يجتنب منذ الآن فصاعداً ادخال المسائل الدينية في الخطب التي يلقيها في حضرتنا . ولكن له ان يبحث بكل حرية في عادات واديان البابليين وغيرهم من الشعوب الذين ورد ذكرهم في التوراة

« اما انا فانني استنتج مما تقدم النتائج التالية :

« (ا) اؤمن بالله واحد (ب) نحن الرجال لاغنى لنا لمعرفته عن شيء يمثل ارادته . واولادنا اشد حاجة منا الى ذلك (ت) ان الشيء الذي يمثل ارادة الله عندنا هو التوراة كما وصلتنا بالتقليد . واذا ظهرت اكتشافات أثرية تخالف بعض رواياتها فهذا لا شأن له . كما انه اذا فقد بها الشعب المختار (بنو اسرائيل) شيئاً من رونق تاريخه فلا اهمية لذلك ايضاً . ذلك لان روح التوراة تبقى سليمة مهما طرأ على ظاهرها . وهذه الروح هي الله واعماله

« ان الدين لم يكن قط حادثاً علمياً ليختلف باختلاف العلم والتاريخ . وانما هو فيضان من قلب الانسان ومن وجدانه بسبب علائقه مع الله

« هذا وانني مع الشكر والثناء ابقى دائماً صديقك المخلص غليوم

امبراطور وملك

وذيل غليوم الثاني هذه الرسالة بكلمة اطلق فيها يد الاميرال في اذاعة هذه الرسالة . وقد فعل ...

الفصل الخامس والعشرون

غليوم الثاني جندياً

« غليوم الثاني فارس من الطراز الاول ، انظر اليه في طليعة كوكبة حملة الاعلام وهو عائد من التمرينات العسكرية ، تجد مشهداً رائعاً يخلب الابصار بهاؤه ، ويستفز حماسة الجمهور رواؤه »

هذا مثال مما كان معظم سكان برلين يصفون به امبراطورهم الى ما قبل الحرب الكونية الاخيرة . وهذا الوصف يعود بنا من غير شك الى الصفة الخاصة التي عرف بها الامبراطور في مواقفه العديدة وظهوره على الدوام في مظهر الابطال الفاتحين . كما نجد فيه في الوقت ذاته دليلاً لا يرد على عطف غليوم الثاني على جيشه – الذي كان يدعوه بيته الاصغر – واليه يرجع الفضل في ادخال الاصلاحات عليه وتعزيزه الى ان بلغ في السنين الاخيرة القوة الرهيبة التي احيت في صدره روح المطامع والجشع

وجه غليوم الثاني عنايته القصوى في اوائل عهده وبصفته الرئيس الاكبر للجيش الى تحقيق امرين جوهريين ، تحسين حالة الجند ، والعمل على تحسين اخلاق الضباط . فلم تقع اصلاحاته من هؤلاء موقع الرضى . لانهم كانوا يتوقعون من الامبراطور ان يكون اكثر تسامحاً معهم . اما هو فكان قد عقد العزم على ان يضع حداً للاسراف والتبذير في الجيش فمنع اللعب وقضى بتحريم المبارزة . وكانت من العادات الالمانية المتمكنة من النفوس على خشونتها وغلاظتها . ثم جعل الترقي في الدرجات العسكرية ميسوراً لجميع الطبقات وكان من قبل وقفاً على ابناء الاسر النبيلة دون سواهم

زار ضابط فرنسوي في شهر يونيه (حزيران) سنة ١٨٩٧ عمه المركيز دي نوايل سفير فرنسا في برلين . فدعاه نفر من الضباط البروسيين لتناول الغداء في ناديهم . وبينما هم لما بهم واذا بالامبراطور مقبل على غير علم سابق فقدم اليه الضابط

الفرنسوي وكان له معه حديث طويل . قال غليوم : ارأيت كيف اعامل ضباطي اني اشاطرهم طعامهم ، واحادثهم في امانيهم ، واصغي الى شكاواهم . اعرفهم واحداً واحداً . واهتم لكل فرد منهم . هكذا يجب ان يكون . واتم عندكم جيش جميل ، شاهدته يوم ذهبت الى فرنسا وقدرته قدره

غليوم الثاني في بزة كولونل
في فرقة الهوسار المجرية

غليوم الثاني في بزة فلد
مارشال نمسوي

«اما مشاتكم فبهجة للناظرين. ولكني لا احسب مشاتي دونهم مقاماً . ولكنني لا استطيع ان اقول مثل ذلك و ياللأسف عن مدفعيتي . ان المدفعيـة الفرنسوية تفضلها . ولسوف اواصل الجهد حتى ابلغ بها درجة الكمال . واما فرساني فيفضلون فرسانكم . ومع ذلك فان لديكم قائداً كان ابي وجدي شديدي الاعجاب بنظرياته وعاملين بها ، واعني الجنرال دي غاليفاى (احد وزراء الحربية الفرنسوية السابقين) . ولو انكم اتبعتم ارشاداته لكان لفرسانكم المقام الاول »

ومن اصلاحاته في الجيش وضعه قانوناً للمحاكمات العسكرية لم يوفق الى تقريره الا بتضحية وزير داخلية دي كولار (١٨٩٠) وقد قال في رسالته الى وزير الحربية « ان الجندي يجب أن يعامل بعدل ونزاهة ورقة لتزداد ثقته في رؤسائه وحبه لهم « ثم اوعز الى القواد بان يرفعوا اليه اسم كل رئيس يسيء معاملة مرؤوسيه

وانما اوحى اليه هذه الفكرة الحكيمة ما اتصل به من اخبار المعاملة السيئة التي كان يعامل بها الضباط الجند ، فكان هؤلاء يفرون من الجندية فراراً من الظلم حتى كان يقدر عدد الفارين في كل عام بما يزيد على ثلاثة الاف . وكان وضعه القانون الجديد باغراء صديقه الكونت هوزلر قائد جيش التغطية سابقًا في اللورين . بيد ان الامبراطور لم يستمر طويلاً في هذه الخطة السديدة . فلقد كان يقابل كثيرين وتقرع سمعه أحاديث متباينة . ثم كان يرى انهُ لا مندوحة له عن مؤازرة اصحاب الرتب في الجيش له فيستطيع بهم ان يجعل الجيش برمته في قبضة يده . فلم يكن غير حين قصير حتى تناسى اوامره الماضية وغض الطرف عن مظالم كثيرة

بل هو قد ذهب الى ابعد من هذا . في سنة ١٩٠٣ تنبه البرنس برنار دي سكس ويمر ، قائد الفيلق السادس المرابط في برسلو ، ان الجند يعاملون معاملة سيئة فرأى ان يكون اكثر شدة في معاقبة الفاعلين . فما اشد ما كانت دهشته حين وجد ان نسيبه الامبراطور هو المعارض له في ما يريده من العمل التأديبي . واذ ذاك رفع تقريراً ضافيًا ، كتبه بخط يده وبسط فيه لصاحب الجلالة ما يقاسيه الجنود من سوء المعاملة في الايات المانيا الشرقية وخصوصًا البولونية . فلم يزد غليوم الثاني على أن أتهمه بمناصرة البولونيين – وكانت أفظع التهم في نظره – واضطره أن يستقيل

وفي الجملة فان الامبراطور جعل الجيش والاسطول شغله الشاغل ولا بدع فقد كان مظهر قوته وعنوان مجده . قال يومًا في فاتحة خطاب القاه على الالاي الثاني من سلاح الرماة : ايها الجنود « انتم الالاي الثاني ، ولكنكم سوف لا تكونون في المقام الثاني في المجد والشرف »

وقال يومًا لجماعة من المتجندين الجدد : « لقد البستكم ثوبًا جميلاً فليكن كل منكم له اهلاً » . وقال مرة اخرى : « تعجبني روح هذا الالاي فهو بروسي قح »

وقال مرة مخاطبًا بعض المتجندين من الملاحة ومفسراً لهم معنى الوان الراية الالمانية وفيها الاسود والابيض والاحمر : « ان الاسود رمز العمل والحزن في وقت معًا ، والابيض رمز ايام الراحة وايام الاعياد ، واما الاحمر فهو رمز الدم الذي أراقه الكثيرون ممن تقدموكم في سبيل الوطن . . . »

ومن أدلة مجاملته لضباطه انه جاء مرة فجأة نادي ضباط الحرس وكان في ذلك اليوم في بزة اميرال ، وكان في معيته الضابط البحري سندن بيبراخ . فبينا غليوم الثاني يتحادث مع رهط من الضباط ، اذا بيد القيت على كتفه من وراء بشدة وقائل يقول ممازحًا : ستكون الليلة معنا في حديقة السمك يا عزيزي سندن .

وادرك الامبراطور ان الرجل ظنه الضابط البحري فالتفت اليه وهو لا يملك نفسه من الضحك . وعرف القادم الامبراطور فاصطبغ وجهه بالاحمرار واطرق خجلاً

اما كفاءة غليوم من حيث الفن العسكري ففيها نظر . ولقد اشرنا في غير هذا المكان الى ايثاره سلاح الفرسان على كل ما عداه . فقد كان له به ولع خاص . ومن شواهد ذلك ما يروى من ان الفيلقين الثالث والخامس اشتركا ذات يوم في مناورة عسكرية ، فكان الفيلق الخامس مرابطًا في قمة هضاب منيعة على مقربة من مدينة تامبل والثالث مهاجمًا له . فلم يكن من الامبراطور الا أن امتطى جواده الاشهب الجميل وحمل في طليعة اثني عشر ألايًا من الفرسان . فيها سبعة الاف وخمس مئة فارس ، على الفيلق الخامس ، المتحصن في موقعه المنيع . واستمرت حملة الفرسان هذه زاحفة مسافة عدة كيلو مترات الى ان جازت (بالطبع) خطوط العدو منصورة ظافرة ... وكان في عداد مآثر هذه الحملة ان الايًا برمته من فرقة فرسان الموت المشهورة انقض على فرقة المشاة الموالية له ...

ويعزى الى الجنرال ستولب ناغل قائد الفيلق الخامس انه قال لهيأة أركان حربه والضباط الاجانب الذين شهدوا تلك التمرينات : « ليس الامبراطور مورات[1] وليست تامبل بورودينو[2] فقد شهدنا حركة عسكرية لا معنى لها »

---

(١) يواكيم مورات من كبار قواد نابوليون الاول وزوج شقيقته كارولين وكان ملكا على نابولي من سنة ١٨١٠ الى ١٨١٤ . وقد لقبه نابوليون على جبل الطور ببطل الابطال . وقد اعدم رمياً بالرصاص سنة ١٨١٥

(٢) بورودينو بلدة روسية اشتبكت في جوارها يوم ٧ سبتمبر سنة ١٨١٢ معركة طاحنة بين الفرنسويين والروسيين وكانت الغلبة فيها للاولين

واتفق مثل هذا لغليوم الثـاني بحراً أيضًا . أجريت تمرينات حربية بحرية في شهر سبتمبر سنة ١٩٠٢ تجاه كوكس هافن . فبعد اطلاق مدافع الحصون قذائفها بشدة على الاسطول المهاجم – اطلاقًا لو حصل في حرب حقيقية لعطل غير واحدة من بوارج ذلك الاسطول – شوهد الامبراطور غليوم على يختـه هوهنزولرن في طليعـة الاسطول ، مغامراً بين تلك النيران وداخلاً الميناء ظافراً . . . وكل يعلم ان اليخت هوهنزولرن مركب نزهة . وانما هو مسلح ببعض المدافع الخفيفة . وهيهات أن يكون في استطاعة راكبه أن ينجو من قذائف مدافع الحصون ولو ان راكبه اله الحرب . ثم لو كان الاسطول في موقف عرض أو نزهة لكان ثمة مسوغ لوجود مثل هذا اليخت في الجملة ، أما والموقف موقف تمرينات حربيـة فمن الخطأ والحمق اشراك مثل هذا اليخت فيها ، ثم ادعاء الفوز والظفر على مركب من الورق المقوى

ولهذا فالمرجح عند العارفين ان غليوم الثـاني لم يكن يعلق على مثل هذه التمرينات اهمية عسكرية وانما كان يتخذها وسيلة للاستعلاء والوقوف في مواقف فخمة تخلب الابصار

ثم تداولت الايام على هذه الحوادث وانعقد مؤتمر مونيخ فوقف على المنـبر الزعيم الاشـتراكي الالماني الشهير « ببل » وكاشف سامعيه بخشونته المعهودة برأيه في الحملات الامبراطورية فقال : « ان الرجل الذي يتولانا صديق لسلاح الفرسان وقد اثبت هذه الصداقة في حملته الاخيرة . ولكن لو كانت ثمة حرب حقيقية لكان غليوم وفرسانه تمزقوا كل ممزق . وتشتتوا تحت كل كوكب قبل بلوغ صفوف المشاة . على ان هؤلاء قد اعتادوا ان تشطر صفوفهم على هذا النحو ، فلا بأس ، مادامت الحرب حرب نظارات . . . وحبراً على الورق . . . انهم لايزدادون مع كل هذه الانكسارات الا صحة وتعافيًا . . .

ثم قال : « ولكن اذا شهرت غداً الحرب فسنستهدف الى كارثة عسكرية ليست كارثة الفرنسويين في سيدان بالنسبة اليها شيئًا مذكوراً » (اه)

فهل أوتي ببل في ذلك اليوم علم الانبياء

الفصل السادس والعشرون

غليوم الثاني بالاجازة . كرمه

كان غليوم الثاني كلما آنس فشلاً في احدى خططه السياسية او استشعر خيبة في بعض الشؤون او قلقاً على أمر عقد النية عليه يغادر برلين متلاهياً و يتشاغل بضعة ايام بالصيد والقنص . فلما كان ما كان من قيام اعضاء مجلس الراشستاغ خاصة وشعب برلين عامة عليه عقيب محادثته المشهورة مع مكاتب الديلي تلغراف — كما سيجيء — ولى وجهه شطر الغابات التي يكثر الطير فيها ، والقى بنفسه ضيفاً على البرنس دي بليس

كانت اول كلمة بدرت من فم غليوم الثاني حين دخوله قصر البرنس — حيث كان في نيته ان يقضي بضعة ايام : « لاتنس اني تركت على الباب التاج والصولجان »

وكان البرنس قد دعا بعض أصدقائه وزوجاتهم بمناسبة حلول الامبراطور وحاشيته في ضيافته . فلما التأم المدعوون حول المائدة في اليوم الاول كان مركز غليوم الثاني وفقاً للقواعد المرعية مواجهاً لمركز البرنس المضيف . بيد ان الامبراطور حمل صحنه وقدحه من غير كلفة وقال للبرنس :

« عد يا برنس الى موضعك الاعتيادي . اما انا فاني اتنازل راضياً مسروراً عن امتيازات الامبراطور لاتخذ موضعاً لي بين سيدتين جميلتين »

ثم جلس بين الاميرة دي بليس والدوقة دي راتيبور . ولا ندري هل كانت السيدتان المذكورتان اجمل السيدات الموجودات حقيقة . ام كان عمل الامبراطور مجاملة فقط وترضياً

وفي ذلك المساء ظهر غليوم الثاني طروباً الى الدرجة القصوى . وقد قال لسامعيه لقد دبرت لكم مفاجأة حلوة . ثم أمر فجيء بعلبة كبيرة تشتمل على لعبة تعرف باسم

Ping-pong كانت كثيرة الشيوع في ذلك العهد في انكلترا . ثم قال : وهي هدية من خالي ادوار (ملك انكلترا السابق)

سهرة عائلية في القصر الامبراطوري
الاولاد يعزفون على الالات بحضور والديهم والاميرة الصغيرة ترقص

كان غليوم الثاني لا يأنف من الشراب . ومع هذا فقد كان ، بداعي الوطنية فقط ، عدواً للشمبانيا الفرنسوية . ثم كان في مقابل ذلك كثير التشيع لخمرة كانت تعرف بخمرة توكاي Tokai وهي نبيذ نمسوي غالٍ جداً ليس في طاقة اي كان الحصول عليه . وقد قيل انهُ انما كان يفعل ذلك منفعة لحليفه الامبراطور فرنسوى جوزيف لانهُ كان محتكراً هذا الصنف في بلاد النمسا . والنبيذ الذي كان يباع باسم توكاي بعشرين الى خمسة وعشرين كورونًا الزجاجة لم يكن الا مقلداً

ثم ان غليوم الثاني خبير بالشراب . قدم له مرة في وليمة عسكرية نبيذ فرنسوي فاخر في زجاجات المانية فعرف غليوم الغش من الجرعة الاولى واعرب عن استيائه .

ولاندري اكان استيـاؤه للعبث بأوامره . أم لتوهم الفاعلين انهُ غير كفوء للتمييز بين الشمبانيا الالمانية والشمبانيا الفرنسوية . . .

ويشرب غليوم الثاني الجعة – البيرة – ولاغرو فهي الشراب الوطني – وكان الامبراطور احرص انسان على التقاليد الالمانية – وهو يتناولها بالاكثر في اثناء زياراته للثكنات العسكرية في بروسيا . والعادة عندهم ان يقدم له كأس جديد كلما شرب جرعة من كاسه ولو لم يكن شرب غير نصفه

وهو معلوم ان البروسيين والبرندبورجيين والبولونيين مشهورون بالشرب . فكان من الواجب المتحتم على الامبراطور – وهو لا يريد ان يكون دون غيره في أي شأن كان – أن يتجالد على الشراب ما استطاع كلما زار ولاياته الشرقيـة . وقد حفظت له خطب في مواقفه هذه استهلها بقوله : هيوا بنا . ولتملاء الكاسات مرة اخرى . . .

ولعل البخار المتصاعد من هذه الاقداح كان لايخلو ان يكون له بعض الأثر في الخطب الامبراطورية

وكان غليوم الثاني يكثر التدخين . وكان يدخن في الغالب نوعًا من السيجار يستصنع له خاصة ويكلفه زهاء ستة فرنكات كل واحد . اما في القنص فيدخن الغليون Pipe وفي القصر يدخن من وقت الى آخر سيجاراً نزع عنه النيكوتين – ولعل الدكتور البستاني اخذ عنه سجايرة الصحيـة – ثم قد يتفق له أن لا يدخن بضعة اسابيع متوالية . ومتى كان في « نوبة » الامتناع فعلى المقربين منه ان يحذوا حذوه مكرهين . . . لان السجاير لا تقدم لهم بعد الطعام

***

في غضون رحلات غليوم الثاني الى البلاد النروجية كان يكثر من مخالطة رجال حاشيته ومداعبتهم حتى البحارة انفسهم . فمن ذلك انه جمع ذات مساء في حجرته رجال الحاشية وضباط اليخت هوهنزولرن . وقدم لهم بعض اقداح شمبانيا وشيئًا من الحلوى . وبينا هم لما بهم وقف الامبراطور وطفق يأمر كل واحد منهم بمفرده ان يفتح فاه فيفعل فيلقي فيـه قطعًا صغيرة من الحلوى . بيد ان احد

الضباط تلتقف القطعة المرسلة الى فمه بيده ووضعها في جيبه فقطب غليوم الثاني حاجبيه ثم سأل الضابط بصوت أجش قائلاً : لماذا لم تفعل كسواك فأجابه الضابط : وددت يا صاحب الجلالة أن أحفظ تذكاراً محسوساً لهذه السهرة الشائقة »

على اننا لاندري انعتبر هذا الجواب مدحاً أم هو ذم في معرض المدح . اما الامبراطور فانه رضي الجواب وسكت

ومهما يكن فان غليوم الثـاني في مواقفه هذه انما يعتبر « الامبراطور » في اجازة موقتة .

***

ومن نوادر غليوم الثاني انه كان يوماً في مدينة پوزن فبعد الغداء أخذ سيجاراً وطفق يفتش في جيوبه على مدية يقطع بها طرفه فلم يجد . وكان قريباً منه احد كبار الضباط فاخرج من جيبه مدية وقدمها لامبراطوره . فأخذها منه غليوم الثاني صامتاً ثم بعد ان قطع طرف السيجار رد المدية الى صاحبها وهو يقول بكل رزانة : احتفظ بها فقد اصبحت بعد الآن « مدية تاريخية »

***

لم يشتهر غليوم الثاني بالكرم . بل بعكس ذلك كان في رحلته مثلاً الى الاستانة وفلسطين وسورية اقرب الي قبض كفه منه الى بسطها . واكثر ما كان يتبرع برسمه الكريم ... موقعاً عليه بخط يده . ومع هذا فقد رويت عنه بعض المآثر ولكنها ترجع الى السنين الاولى التي تلت جلوسه على العرش

من التقاليد المرعية في بلاط برلين دعوة السفراء وزوجاتهم الى حفلة شائقة تقام في القصر الامبراطوري في عيد الميلاد . فبعد تناول طعام العشاء يقوم المدعوون الى ردهة فسيحة قامت في وسطها « شجرة عيـد الميلاد » متألقة بالانوار ، وقد علقت على اغصانها وفروعها هدايا للمدعوين . وعلى كل هدية اسم صاحبها. وهي في الغالب تكون مرعياً في انتقاءه ذوقه ومشربه . ولكن الامبراطور قد لا تطيب نفسه في كل عام الى إعمال الروية ملياً في الانتقاء . فتكون الهدية والحالة هذه متناسبة . ففي احدى السنين كانت هدية زوجات السفراء والمعتمدين السياسيين في برلين حليـة

في شكل دبوس صدر قوامها جنيه من الذهب (عشرون مركاً) في إطار من حجارة الالماس الصغرى . اما الرجال فكانت هديتهم حلية في شكل ازرار اكام قوامها جنيهان في مثل ذلك الاطار الالماسي

وقد يتفق ان يجد الامبراطور نفسه في ظروف تقتضي البذل حفظاً لكرامته . فمن ذلك انه لما شخص الى العاصمة الانكليزية لشهود جنازة جدته الملكة فكتوريا ترك لخدم قصري وندسور وأوسبرن عشرة الاف مرك توزع عليهم

اما حائز قصب السبق في هذا الصدد فالقيصر اسكندر الثالث والد نقولا الثاني آخر قياصرة آل رومانوف . فهو قد دفع في اسبوع واحد لخدم القصر الملكي الانكليزي عشرين الف جنيه ...

الفصل السابع والعشرون

غليوم الثاني والتقاليد

الامبراطور والامبراطورة في سنة جلوسهما على العرش

التقاليد الجرمانية ، في عرف غليوم الثاني ، تتناول ما تضمنه تاريخ بروسيا منذ نشأة الامبراطورية ، اما الازمان التي مرت على الشعوب المتحدة اليوم قبل تضامّها وخضوعها لصولجان واحد فكانت في نظره عهد شؤم غير جدير ان ينوه به . وقد قل غير مرة : « لما لم يكن امبراطور كان العصر مظلمًا مرعبًا والايام مريرة » وقال ايضًا : « لماذا أتيح لنا ان نبلغ النتائج التي بلغناها ؟ تم لنا ذلك لان الكلمة العليا في بيتنا قبل كل شيء للتقاليـد ، ولأننا نعتبر انفسنا مختارين من الله لنسوس الامم

التي تتولى شؤونها ونسير بها أدبيًا خلال الحياة » . وقال في خطبة القاها على ضباط الفيلق العاشر : « انهُ حامي تقاليد كل الجيوش المتحدة من بافارية وسكسونية وهانوفرية وما جرى مجراها » وقال عن جده غليوم الاول بمناسبة تذكار مولده : « انا على يقين تام من ان روح الامبراطور العظيم ترفرف اليوم فوق شعبه وهي قد تفقدت في هذا اليوم من غير شك رايته لترى هل لا تزال النسمة الالمانية حية بين طياتها

وفي الجملة فالتقاليد هي « الروح البروسية القحة » القاضية بحفظ النظام والطاعة العمياء . وقد قال : « ان اقوال الامبراطور لايناقش فيها » وايضًا « ستكون مهمة الملوك الالمانيين في خلال القرن الحالي الحرص على الدين رغم الروح الجديدة والمبادىء الجديدة ، كمثال لكل امم الارض

واغرب من ذلك انه اعرب ذات يوم علانية عن سروره التام من ان حيًا جديداً في دانزيك بني على طراز المنازل التي تقادم عهدها في هذه المدينة . . .

ثم ابتداء من سنة ١٨٩٨ شرع في اغفال كلمة المانيا والاستعاضة عنها بجرمانيا ومن امثلة ذلك الخطبة التي القاها في مايانس رداً على خطاب رئيس مجلسها البلدي وصرح فيها برغبته في ان يحتفظ بكل حرص بالميراث الذي تركه له جده . وقد قال : « ولهذا فان اتحاد « القبائل الجرمانية كلها » واشتراكها بعضها مع بعض ضروريان لي في تحقيق هذه المهمة »

وفي سنة ١٩٠٠ بمناسبة استنزال البركات العلوية على رايات الحملة الذاهبة الى الصين وقف غليوم الثاني حاملاً في يده لاول مرة « قضيب مرشال » يبلغ طوله زهاء متر ، مغلفًا بقطعة من الحرير الاصفر ، لفت عليها شريطة حمراء مرسوم عليها تطريزاً بخيوط سوداء صورة نسر . وقد استنكر الكثيرون في المانيا يومئذ هذه الالوان الثلاثة ، الاصفر والاحمر والاسود ، فقال غليوم الثاني ليست هذه الالوان الوان الامبراطورية الحالية وانما هي الوان الاتحاد الجرماني القديم . . .

في رابع اكتوبر سنة ١٩٠٠ احتفل غليوم الثاني بوضع الحجر الاول في اساس المتحف الروماني ، وقد قال في خطبته يومئذ « ان الوطن الالماني سيكون في المستقبل

اشد صولة واتساعاً من الامبراطورية الرومانية الجامعة ، فيقال حينئذ بافتخار « انا الماني » كما كان يقال في القديم « انا روماني »

وبعد اقليس غليوم الثاني هو الذي أمر بأن يكتب باللغة اللاتينية في معسكر روماني احتفل بتدشينه : « الى تراجان امبراطور الرومانيين من غليوم الثاني امبراطور الجرمانيين »

على ان حرص غليوم الثاني على التقاليد في الامبراطورية الجديدة كان يتناول اولاً . حفظ حرمة كل من كان له شأن يذكر في جمع شتات الامبراطورية وخصوصاً الجد الدائم الذكر الامبراطور غليوم الاول . ثانياً . صيانة الروح العسكرية في الجيش ، واخلاد الشعب بثقته التامة في المتقلدين مقاليد الاحكام . ثالثاً الرجوع الى اسلوب في التعليم اشد صرامة واكثر جرمانية . . .

اما احترام غليوم الثاني لجده واعتباره اياه فوق البشر ، وترديده ذكره في كل فرصة . وتلقيبه اياه بكل نعت مستغرب فأشهر من ان ينوّه به . فان غليوم الاول في نظره ابو الوطن ، والعاهل الدائم الذكر ، والفقيد البارّ ، وروح المانيا ، والبطل ، والمظفر ، والعظيم

لم يقم لملك من التماثيل بقدر ما اقيم لغليوم الاول فقد كانت حتى اوائل القرن الحالي ٣٢٥ تمثالاً ، وان افضل ما اوتي من المواهب السامية احسانه اختيار وزرائه واستسلامه اليهم . على عكس حفيده الذي لم يؤت هذه الموهبة فكان ذلك عليه وبالاً . ولله القائل :

قد عرفنـــاك باختيارك والمر دليل على نهاه اختيـــاره

ولم يكفِ غليوم الثاني اقامة التماثيل لجده في المانيا فشرع في تصديرها الى الخارج . وقد اهدي احد هذه التماثيل الى حكومة الولايات المتحدة فلم تقبـــله . وبقي برهة طويلة في دار السفارة الالمانية في وشنطن ثم لاندري ماذا كان من امره بعد ذلك

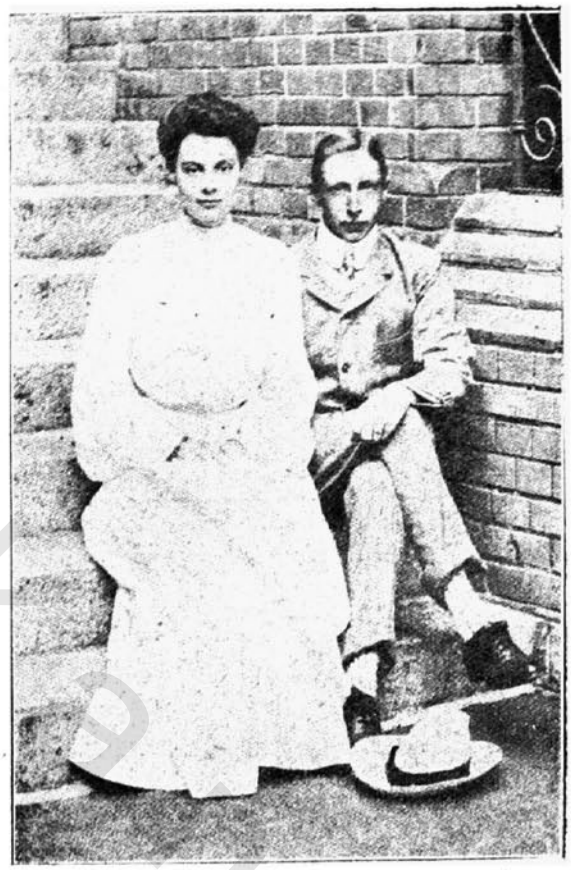

ولي عهد المانيا وخطيبته (الاميرة سيسل دي مكلامبورغ شويرن)

ولد الامير فريدريك غليوم (ولي العهد في عهد أبيه) في ٦ مايو سنة ١٨٨٢ واحتفل بتنصيره في ١١ يونيه . قالوا وكان هذا الاحتفال الوحيد الذي لم يشاهد فيه ببزة عسكرية . . . فلقد نشأ بروسياً قحاً على عكس ماكان يتوهم أبوه فيه في اول امره . فهو قد ألبسه البزة العسكرية في الثالثة من عمره ، وفي العاشره أعطاه رتبة ملازم وتخرج في مدرسة بلوبن العسكرية ، وفي شهر مايو سنة ١٩٠٠ بلغ سن الرشد فاحتفل به ابوه وخصص له بيتاً وضباط معية . ثم قضى في جامعة بون اربعة اشهر . شكا ولي العهد مرة الى ابيه فظاظة بعض العادات الالمانية في كلياتها — وكان اترابه الطلبة قد اذاقوه مرارتها — فلم يزد ابوه على ان قال له : لا بأس فانك بهذه الصورة تختبر العالم والناس . . . ثم كان

الفصل الثامن والعشرون

صلف غليوم الثاني . وصفه بقلم سياسي برتغالي

قالوا كان غليوم الثاني شديد الزهو والصلف معجباً بنفسه الى غاية ليس وراءها غاية . وآية هذا الزهو والصلف تجدها في احاديثه ، وفعاله ، ومواقفه الخطابيـة ، ووقفاته امام آلة التصوير ، ورحلاته الى البلاد الاجنبية ، وكان لايبرح عاصمته الا

ولي العهد في عهد المدرسة — و بعده — متلافاً للمال . فنفـد ذات حين المبلغ المرصود له في مدة وجوده في جامعة بون فاستدان . وصبر عليه دائنوه شهراً او اثنـين ثم اضطروا الى الالحاح فجاء اباه متظلماً فلم يظفر منـه بطائل . فتضرع ملحاً مذكراً اياه انه رجل نبيل وضابط في الجيش وولي عهد . . . فـكان ابوه كالصخرة الصماء لا تلين . ولـكنه اكتفى بأن ارسل اليه رسمه والى جانبه الامبراطورة (كزوجين صالحين) وكتب له بضعة سطور يقول له فيهـا ان يضع هذا الرسم تجاهه على المنضدة ليتذكر على الدوام ما عليـه من الواجبات نحو والديه . . .

وفـكر ابوه في تزويجـه فاذا به قد وقع اختياره على الاميرة سيسيليا دي مكلامبورغ فاستحسن غليوم اختياره وخطبها له في ٦ دسمبر سنة ١٩٠٤ ثم زفت اليـه في ٦ يونيه سنة ١٩٠٥

ومنذ هـذا اليوم شرع والده في تخريجـه ادارياً فقلده بعض الوظائف في الدوائر الوزارية ولـكن النزعة العسكرية كانت غالبة عليـه . وقد زار اكثر العواصم الاوربية وكثيراً ماكان يتردد على فرنسا متنكراً . ووافى القطر المصري يصحبه شقيقه ايتل فريدريك (تزوج البرنس ايتـل فريدريك ثاني انجال غليوم الدوقة صوفيادي اولدنبورغ في ٢٨ فبراير سنة ١٩٠٦ وكان عمره ٢٣ وعمرها ٢٧) فلما نشبت الحرب الاوربية كان هو في طليعة دعاة الجامعة الجرمانية والقائلين بوجوب الحرب . وكان يتولى القيادة في ميدان فردون وطال ما منى النفس بافتتاح هذا المعقل الحصين، ولـكنه لم يسعه الا ان يرجع عنه بصفقة المغبون

في مواكب فخمة . حتى انه لما زار حليفه فكتور عمانوئيل الثالث ملك ايطاليا في عاصمته رومة سنة ١٩٠٣ وافاها في موكب حافل تتحوطه فصيلة من جبابرة حرسه المدرع الابيض – وكان الواحد منهم يقيس مترين وثلاثة سنتيمترات طولاً – قالوا وقد استقدمهم من المانيا بنوع خاص لتكون زيارته للفاتيكان في موكب فخم يأخذ بالابصار. ثم من جهة أخرى للازراء بالجنود الايطاليين ذوي القامات الصغيرة

ولعمري أمن العجب ان يكون ذا زهو وصلف وعُجب رجل لم يكد يستتم السنة التاسعة والعشرين من عمره حتى رأى نفسه امبراطوراً وملكاً . متسوداً على امة تتناول خمسة واربعين مليوناً من النفوس[1] وهي في عنفوان عمرانها وازدهارها ويمت بالنسب الصحيح الى اكثر الاسر الامبراطورية والملكية في اوربا . وهو حفيد الملكة العظيمة الشان فكتوريا (ابن بنتها) وتحت إمرته جيش ظافر . والى جانبه كمستشار أعظم رجال السياسة في القرن التاسع عشر (بسمرك) ثم يرى نفسه في الوقت ذاته الرئيس الروحي الاكبر للطائفة البروتستانية . بحيث كانت سيطرته على الاجساد والارواح في وقت معاً . وهو في ريعان الشباب . وجدة الاهاب . ومن حوله امة نشيطة ناهضة شاخصة اليه بابصارها . وقد التفت من حوله وعقدت عليه خناصرها في مواصلة السير بها الى الامام . أفليس من حق رجل كهذا ان يزهو ويكون ذا عجب وصلف

بلى . ولكن غليوم الثاني ذهب به الصلف الى ابعد مذهب حتى اصبح يكاد يعد نفسه فوق البشر . وحتى طمحت به نفسه الى الطمع في السيادة الكونية . وانما مصارع الرجال في مطامعها

على اننا نقتصر في سياق الموضوع الذي نحن فيه على بعض النوادر فهي شواهد واقعية تاريخية لا سبيل الى المماراة في صحتها فضلاً عما في قراءتها من الفكاهة

---

(١) كان عدد سكان المانيا ٤٥ مليوناً يوم جلوس غليوم الثاني فاصبحوا قبيل الحرب الكبرى سبعين مليوناً او يزيدون

شرع غليوم الثاني منذ سنة ١٨٨٨ (وهي السنة التي جلس فيها على العرش) في زيارة العواصم الاوربية فبعد ان زار روسيا واسوج ونروج والدنمرك والنمسا وصل الى رومة فالتمس مقابلة الحبر الاعظم البابا لاون الثالث عشر ابتغاء مرضاة الكاثوليك في الامبراطورية ولم يكن عددهم قليلاً

فلما مثل غليوم الثاني بين يدي قداسة البابا ومن حوله حرسه البابوي كانت منه حركة وقعت من جرّائها عن رأسه خوذته المتألقة بالفضة والذهب قالوا وقد كانت تلك الحركة منه عن عمد صلفاً وكبرياء لانه أبى وهو زعيم البروتستانية ان يرفع خوذته لزعيم الكثلكة ... وكان لاون الثالث عشر رجلاً حكيماً وقوراً فحيا زائره ببشاشة . ثم جلسا يتحادثان فأخذ البابا في ان يشرح للامبراطور الاضرار التي نالت مرافق البابوية . وبينا هما في الحديث واذا بالباب فتح من غير استئذان وبرز على عتبته البرنس هنري البروسيوي شقيق غليوم والكونت هربرت دي بسمرك وزير الخارجية ومستشار الامبراطورية . فان هذا الرجل الداهية خشي عاقبة افضاء البابا بظلامته الى الامبراطور فتذرع بهذه الوسيلة ليحول بينهما . وكان على الباب احد الحجاب فحاول ان يمنع البرنس هنري من الدخول ريثما يستأذن له . فأجابه البرنس هنري : « لم يتعود احد من امراء بروسيا ان ينتظر »

وكان الحبر الاعظم لما رأى الباب يفتح صاح « اقفلوا الباب » ولكن بسمرك دفع شقيق الامبراطور فلما بلغ منتصف الردهة لم يسع البابا الا ان يأذن في الوقت نفسه لبسمرك . وبهذه الجرأة المقرونة بشيء من الوقاحة بلغ الرجل الحديدي الغاية التي كان يرمي اليها لانه لم يدع للحبر الاعظم مجالاً للتأثير على الامبراطور

اما الحكاية الثانية فكانت مع احد امراء البيت الامبراطوري في الصين عقيب فتنة البوكسر المشهورة . وخلاصتها ان الالمانيين بعد احتلالهم مقاطعة كياوتشاو في الصين (التي استأجرتها حكومتهم بقوة الضغط لمدة ٩٩ سنة) اشتدت وطأتهم على الوطنيين فاضمر هؤلاء لهم وللاجانب على العموم العداوة والبغضاء . وكانت من جراء ذلك الثورة المعروفة بثورة البوكسر التي قتل فيها عدد كبير من الاوربيين وفي جملتهم سفيرا المانيا واليابان . فاتفقت الدول العظمى مع

اليابان وارسلت حملة عسكرية فتحت بكين العاصمة الصينية وانقذت السفراء الذين كانوا فيها تحت الحصار . وبعد ان مزقت شمل الثائرين فرضت على الصين غرامة حربية بالغة ستة وستين مليون جنيه تستوفى في ثلاثين سنة . ثم تعهدت الصين في مقابل قتل السفيرين بأن تبعث الى كل من دولتي المانيا واليابان وفد كفارة يعتذر عن مصرع ممثلي الدولتين .

ووصل الوفد الصيني الى المانيا في شهر سبتمبر سنة ١٩٠١ يرأسه البرنس تشنغ من امراء بيت ابناء السماء . فتطلب غليوم الثاني منه ان يحييه تحيته لامبراطور الصين المعروفة بالكوتو . وذلك بأن يخر ساجداً على الركبتين ويطأطىء الرأس الى أن تمس جبهته الارض . اولاً وثانياً وثالثاً

بيد ان الامير الصيني أبى الاذعان لغرور غليوم الثاني لان تحية السجود لاتجوز عندهم لغير ملوكهم ابناء السماء . وامتنع عن استئناف السير الى برلين . وانتشر الخبر في اوربا فهزأت صحفها بغليوم الثاني وسلقته بألسنة حداد فلم يسعه ازاء الاستنكار العام الا التنازل عن تحية السجود والاكتفاء باحناء الرأس احناء متجاوزاً الحد . فقبل الامير الصيني على كره ومثل على الصورة المتقدمة بين يدي غليوم الثاني في قصره ببوتسدام وهو جالس على عرشه وفي يده صولجان الملك ومن حوله جمع غفير من امراء الامبراطورية وعظماء الامة . وبعد التحية القى غليوم الثاني خطبة ملؤها الكبرياء والصلف

ومن هذا الباب خطبة موجزة القاها غليوم الثاني في ١٤ دسمبر سنة ١٩٠١ في وفد ياباني بمناسبة تعيين سفير لليابان جديد في العاصمة الالمانية . وكان ذلك بعد حين من مرور المركيز ايتو السياسي الياباني الشهير ببرلين . دخل السفير الجديد في موكب من اليابانيين الاقزام تتألق على صدورهم الاوسمة والانواط المختلفة . فلما مثلوا بين يدي صاحب الجلالة وقف بكل رزانة ووقار وقال بصوته الجهوري الرنان :

« اذهبوا فقولوا لجلالة امبراطور اليابان مولاكم اني اعتبر المركيز ايتو كبسمرك الشرق الاقصى ... انصرفوا ...

فانصرف الوفد الياباني مبهوتاً لا يدري اعضاؤه أيرضون عن ذلك الاستقبال أم يغضبون

واننا نقتبس في هذا الموضع خلاصة مقال طويل وصف به السياسي البرتغالي جوزه ماريا ايسادي كويروز الامبراطور غليوم الثاني على تعدد مظاهره قال :

« برع الامبراطور غليوم في نشر اوهامه حتى ظنه الناس اشتراكيًا ضليعًا . وورعًا تقيًا . ومقتصداً بارعًا . وربما حسبوه اكثر من ذلك كثيراً . حتى ان الفيلسوف رينان الشهير لم يأسف على شيء في هذا الوجود حين احتضاره الا على قصر حياته التي ود لو طالت لاتباع مدعيات امبراطور المانيا الشخصية وادراك النتيجة التي تصل اليها ...

«اجل . ان عرش المانيا بات مسرحًا تمثل عليه ادوار الحوادث المختلفة منذ تولاه غليوم الثاني الذي لم يفتأ يومًا من الايام يحول انظار العالم الى الاستغراب منهُ بما كان يتوخاه من الاعمال والحوادث الغريبة التي تظهر على ذلك المسرح الذي يعده غليوم مركز السياسة الاول في قلب اوربا . ومما يزيدني اعتقاداً بكبريائه انه استمرّ ثلاث سنوات يقيم المظاهرات ويريد اقناع العالم بأنه يجمع صفات بشرية الى مميزات ارفع منها . ونحن حتى اليوم لانستطيع حل هذه المعميات . فبينا ترى ذلك العاهل العظيم ملكاً قويًا اذ تراه جنديًا فتاكاً يدعو الى المناورات والمظاهرات او حذراً وجلاً يعنى بترتيب حرسه ويفضله على جميع اعمال سلطنته أو ممثلاً لقوة الامة أو متشرعًا يفضل شريعة الجندية على الشرائع الادبية والمدنية أو منظماً بارعًا يرى حياة بلاده بتجنيد الجيوش أو مسيطراً على العالم يسن له القوانين ويختطه الخطط

« وصل به الادعاء الى طلب السيطرة على مجاري الاحوال في العالم حتى كاد يدعي تملك الحقوق السماوية ويسير مشيئته الارضية على ما يريده ويرومه فيأمر بدفع الجنس البشري الى طريق يرومها ويرتب الحفلات وينظم المناورات ويوعز الى ارباب الازياء باتباع هذا الزي بين السيدات ويمنح الرتب لمن يريد ويحرّم الحقوق على من يشاء ويعمل على جعل برلين عاصمة العواصم وام العالم ويرغب في الاستئثار بكل حكم في بلاده فيأمر البرلمان باعتماد المبالغ واعداد المعدات ويحكم على المعامل والمصانع بعمل هذا وترك ذاك ويظهر امام امته فريد العصر وغرة الدهر ومنبت المدنية ومعدن البشرية ويصدر الاحكام من عرشه الى ممثلي حكومته

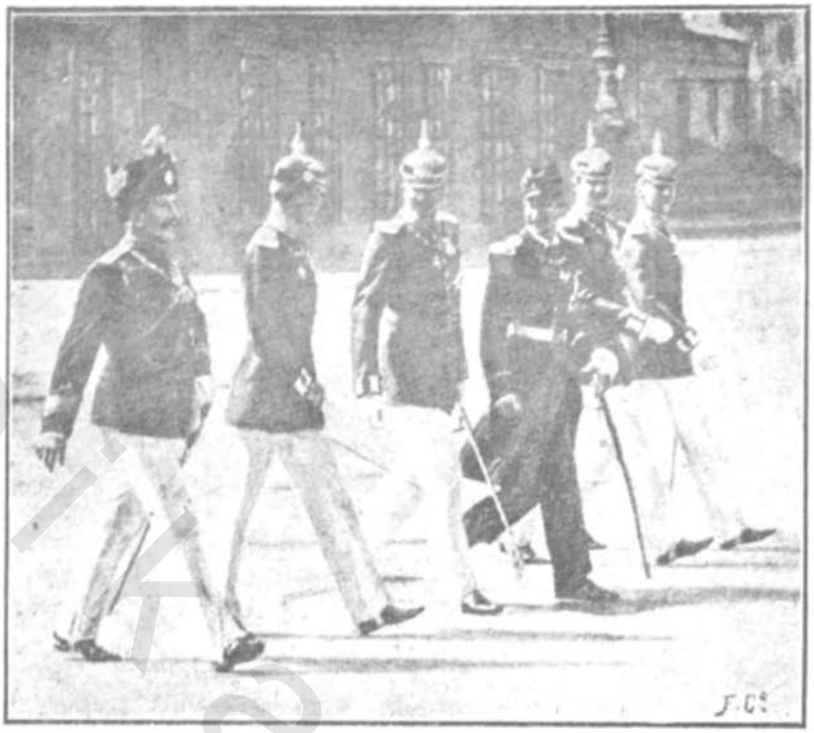

غليوم الثاني واولاده الخمسة خارجين من القصر
الامبراطور في بزة كولونل في فرقة الهوسار . واربعة من اولاده في بزات
ضباط مشاة . وفي وسطهم البرنس اد البرت في بزة ضابط بحرية

« كان قطب العلوم الهندسية حين مخر به الاسطول في الدردنيل لزيارة الاستانة فاستعاد على سامعيه ذكرى الرومانيين وأسهب بوصف أخلاق الشرقيين وأفاض بشرح الاستحكامات والاشكال الهندسية . وكان في ممالك سكندينافيا واعظاً مفوّهاً يحبب الى سامعيه التقوى والتمسك بجبل الفضائل ونبذ الضغائن والاحقاد . وكان بعد رجوعه من روسيا شاعراً بليغاً وفي الوقت ذاته طاهياً خبيراً اذ أرسل الى ديوان القيصر يشكره على أكلة « السندويش » التي قدمت على المائدة ووصف رحلته بشعر منسق

« وكان في لندن اجتماعياً مسالماً وديعاً لطيفاً اثرت به مظاهر الحرية حتى أنسته حب الاثرة والانانية . ولم تمض الا أسابيع قليلة حتى تناقلت أسلاك البرق « الحرب واقعة في الربيع » فاضطرب العالم وتساءل الناس ماذا جرى ؟ جرى ان الامبراطور

عاد الى برلين وجلس على عرشه فعاودته الاوهام وعاد الى سابق عهده تمثيل المخاوف على مسرحه

« ولقد تساءل الكتاب والباحثون في سبب هذا التلون والتقلب . فقال بعضهم انه نتيجة العمر وان لادوار الحياة تأثيراً في النفوس . وذهب آخرون الى انه يجيد تمثيل أدواره متستراً بستار الحوادث لزعمه ان الامور تجيء نافعة لملكه مؤيدة لكلمته . وزعم الآخرون انه يقفو اثر أسلافه من الهوهنزولرن . ويقلد القياصرة الجبابرة وينزع الى العلاء فتتغلب عليه الاثرة ويفعل به التشامخ فعله فلا يتمكن معه من ضبط عواطفه وكبح مطامعه

« وقد يكون لكل نظرية من هذه النظريات سبب ، وفي اعتقادي ان الولوع بالعمل وحب الظهور سبب لتقلبات الامبراطور . وان لكل انسان في الوجود ولعًا بأمر فيعمل لتنفيذ هذا الولع . فهو قد يغرم في الخيال فيتسامى بافكاره الى فضاء التصورات . ويغرم آخر بقراءة العواطف فلا بد من أن يشعر ويحس . ويغرم البعض بقيادة الجيوش ، أو بناء المدن ، واقامة الاستحكامات ، فلا تكفيه مكتبته النفيسة لتنفيذ هذه الاعمال بل يجب أن يكون ذا مملكة . والامبراطور وجد نفسه مالكاً سلطة كبيرة فاقدم على تنفيذ ولعه متتبعًا السياسة البسمركية . ولكنه لم يكتف بقيادة الجيوش والاساطيل في البر والبحر بل اهاب به ولعه الى الاعتقاد بانه « صديق الله الوحيد » ومنفذ احكامه على الارض . وهي دعوى لم يسمع العالم بمثلها منذ عهد موسى كليم الله ولا رأوا صلة بين الخالق والمخلوق كالصلة التي يدعيها الامبراطور فكأنهُ موسى بنفسه او اعظم منه بما يدعيه من العصمة في اعماله . فلا شيء لديه مستحيل لأنه يقود مليوني جندي ويحكم شعبًا ينمو ويتزايد لان الله بجانبه يأمره بما يفعل ويعزز قواته

واستطرد الكاتب الى وصف تكبر الامبراطور وامياله الحربية واعداده افكار جيوشه لدعوته اياهم ذات يوم « ليقودهم في سبيل الفخار والمجد في ظل غبار اقتم » وما ذلك الغبار الا عثير ميادين القتال التي كان الامبراطور يستعد للدخول فيها طمعًا بأن يضع اوربا جمعاء تحت النفوذ الالماني (اه)

الفصل التاسع والعشرون

انتقام غليوم الثانى

حكاية دخائل السياسة الالمانية في تركيا . جواهر القيصرة الروسية كاترين الاولى

الاميرة فكتوريا لويز كريمة غليوم الثاني

حكى الكونت ارنست فون هتسندورف - من حملة وسام النسر الاسود الالماني وضابط معية ولي عهد غليوم الثاني - والعهدة في الرواية عليه قال:

كان في عداد نساء البلاط الالماني في قصر بوتسدام سيدة تدعى فروكليست ناهزت السبعين من عمرها ذات نفوذ ربما كان لايقل عن نفوذ غليوم الثـاني

obeikandl.com

نفسه الا قليلاً جداً كما صرح لي البرنس دي بيلوف . وكانت مهمتها الرسمية تعليم اصول الرقص قديمه وحديثه للبرنس يواكيم وللبرنسة فكتوريا لويز فكان هذان يرتعدان فرقاً منها ويخشيان لذعات لسان لها كأنه حد السيف . وكان لامندوحة لاية حسناء تطمح نفسها الى شهود الليالي الراقصة التي كانت تحيي في احد القصور الامبراطورية – او احد الضباط ممن لم يتح لهم بعد شرف شهود هذه الحفلات – عن احتمال امتحان شديد تتولاه تلك السيدة والاذعان لحكمها الذي كان لانقض يعقبه ولا ابرام .

ولم يكن احد يدري كيف كان وصول تلك العجوز الى ذلك المنصب السامي واما الامر الذي لم يكن يجهله احد فهو انها مع بلوغها تلك السن العالية ما برحت نشيطة الحركة متوفرة لها العافية كأنها بنت عشرين

اما عما كانت تتقاضاه « سراً » ثمناً للحظوة لديها فظن ظناً ولا تسال عن الخبر

وترددت بشأن محتدها وماضي امرها اشاعات شتى ليس فيها ما يستند الى دليل . وانما كان معلوماً انها كانت موضع سر غليوم الثاني حتى كان مسموحاً لها ان تدخل ديوانه الخصوصي في اية ساعة شاءت فتهمس في اذنه ما يكون قد سقط اليها من غرائب الاسرار

ففي السابع عشر من شهر تشرين الاول – اكتوبر سنة ١٩٠٨ عاد غليوم الثاني وحاشيته – وكنت في الجملة – من هامبورج – حيث كان قد احتفل بانزال احدى السفن الترنس اطلانتيكية الكبرى الى البحر – فتناول غداءه على عجل ثم دخل غرفة شغله فجلس الى منضدته وجلست أنا تجاهه وشرع في اعداد بعض المذكرات لارسالها الى قائد موقع پوزن واذا بزميلي فون كاهلبرغ داخل يحمل تلغرافاً فلم يكد يقع نظر الامبراطور عليه حتى تغير لونه ثم التفت اليَّ وقال : يقول ولي العهد ان الطيار الاميركي اورفيل رايت عازم على الطيران وأحب شهود طيرانه فمر باعداد السيارات وانت يافون كاهلبرغ أنبيء الامبراطورة فربما كانت تحب أن تكون في الجملة .

فقدمت للامبراطور احد رسومه ، علماً مني برغبتـه في اهدائها الى الطيار كعادته في مثل هذه المواقف ، فوضع عليه توقيعه

ولم يكن غير ربع ساعة حتى كانت سياراتنا الثلاث تنهب الارض نهباً . في اولاها الامبراطور والهر انطون ريتشـل من كبار الموظفين الالمانيين في الاستانة ، ومعهما الاستاذ دامبري ، وفي الثانية الامبراطورة وكريمتها وسيدتان اخريان ، وفي الثالثة العبد الفقير وضابط آخر

ووصلنا الى الميدان والنهار مؤذن بالزوال ، فاسرع الينا ولي العهد على جواده وقال للامبراطور ابيه ان الطيار وجد الريح شديدة فعدل عن الطيران وانصرف . فتميز غليوم غيظاً لهذه المعاكسة . ولما رأى ولي العهد استياء ابيه قهقه ضاحكاً وقال انه انما كان مازحاً . ولم يكن الا هنيهة حتى اقبل الطيار في صدرة من جلد وحيا الامبراطور . ثم ركب طيارته وحلق بها صعداً في الهواء فتبعه الامبراطور بنظره وكانت هذه اول مرة يرى فيها طيارة تطير فترنح طرباً وكان ذلك اليوم اول عهده بالاهتمام بسلاح الطيران

اما عن هتاف الشعب المحتشد وشدة اعجابه بالطيار الاميركي فحدث ولا حرج

ثم نزل الطيار بمثـل السهولة التي طار بها واقبل على الامبراطور فاطرأه اطراء شديداً واهدى اليه رسمه . ثم شرع يتفحص الطيارة والطيار يشرح له آلاتها قطعة قطعة . وكان الظلام قد خيم فعدنا من حيث اتينا

في عشية هذا اليوم بينا الامبراطور يملي عليّ بعض الاوامر المستعجلة . وقد انتصف الليل او كاد . اذا بالباب قد فتح وبرزت صاحبتنا العجوز فروكليست مستأذنة بالدخول فأذن لها في الحال وقال ما وراءك ؟ وكان غليوم الثاني يحب التعجيل الا متى وقف في مواقف الـ ابة . فترددت العجوز هنيهة ثم قالت اتأذن لي جلالتكم بالمكاشفة بأمر ذي شأن فتطلع فيها الامبراطور وسأل في أي صـدد فأجابت بصوت خافت في مسألة ريتشل

فقطب الامبراطور حاجبيه وأومأ اليّ بالخروج ففعلت . على ان قدوم العجوز من بوتسدام في تلك الساعة من الليل رابني . وكانت قد وقعت اليّ مئات من

التقارير السرية المرفوعة الى الامبراطور فعرفت منها اشياء كثيرة عن ريتشل المذكور

كان ريتشل بروسيًا ، ضخم الجثة ، عريض المنكبين ، أشقر الشعر ، مرسل اللحية ، متوقد الذكاء ، وكان يتولى ادارة البنك الالماني العثماني في الاستانة . وكان موكولاً اليه ان يتقرب الى السلطان عبد الحميد ويفوز بمودته ، وأن يبذل المال عن سعة في كل مشروع صناعي يرجى من ورائه فائدة ، ولا سيما مشروع سكة حديد بغداد ، مناهضة للجهود السياسية التي كانت تبذلها بريطانيا العظمى في عاصمة سلطنة آل عثمان

وبكلمة أخرى كانت مهمة ريتشل في الاستانة السعي في « جرمنة » الدولة العثمانية . وهذا بينما كان غليوم الثاني يتظاهر انه اوفى اصدقاء عبد الحميد

وكان الهر ريتشل في خلال ذلك يكثر التردد على برلين فيجتمع بالامبراطور ويتناول الطعام على مائدته ، وهي ميزة لم يكن غليوم الثاني يتعطف بها الا على أخص أخصائه واقرب اوفيائه

ثم لم يكن غير عشية وضحاها حتى ذاع ان صفي غليوم الثاني وموضع سره اقترن بحسناء فرنسوية هي الآنسة جوليا دي لاغارنّ بنت بولس دي لاغارنّ الذي كان والده صاحب معمل سكر وكاتب سر السفارة الفرنسوية في رومة . اقترن بها في ايطاليا ثم جاء واياها الى برلين بعد اسبوع فتعرفت اليها فاذا هي ذات جمال رائع . وخلق ممتع . على حدة مزاج تأخذ بالالباب . وذكرت لي انها ستقدم الى الامبراطور في اول ليلة راقصة تحيي في البلاط

كان هذا كله لشهر مضى قبل طيران الطيار الاميركي ووفود العجوز على الامبراطور في عشية ذلك اليوم على ما تقدم . فاما سمعت اسم ريتشل على لسانها حدثتني نفسي بوقوع شرّ . لاسيما بعد ان بلغت اليّ اشاعات كانت لا تتداولها الالسن الا همسًا مؤداها ان غليوم الثاني كان قد انتدب كرل كايست – وهو ابن العجوز – لتجسس حركات الهرّ ريتشل نفسه . وانه تلقى منه تقريراً يشتمل على غير ما يحب

ثم احييت الليلة الراقصة ومثلت السيدة ريتشل بين يدي الامبراطور والامبراطورة فابتسم لها غليوم الثاني وتلقاها بهشاشة وبشاشة

وتداولت الايام بعد ذلك وكان ريتشل يتردد في غضونها على برلين مستصحباً زوجته في الغالب فيتلقى بالاكرام . بينا كان كرل كليست قد جعل الاستانة دار اقامة له واتخذ تجارة السجاد حرفة يتعاطاها تضليلاً للافكار

وكانت عقيلة ريتشل قد ورثت عن جاتها لامها ثروة طائلة فاشترت بها قصراً فخماً في المانيا توارثه امراء لانجنبرغ كابراً عن كابر ، واشترت معه كل ما يحيط به من الارباض المترامية الاطراف . واعرب غليوم الثاني ذات يوم لهرّ رتشل عن رغبته في صيد الديكة في اراضيه بعد ان كان حباه قبل ايام بوسام النسر الاسود ، فلما كان اليوم المضروب شخص غليوم الثاني مستصحباً ولي عهده وحاشيته — وانا في الجملة — فاستقبل استقبالاً فخماً

وكان غليوم الثاني في ذلك اليوم مصاباً بزكام فأوعز اليّ ان استدعي له الدكتور وولرتون من اطباء اوغسبرغ ولم تكن سبقت لي معرفة به من قبل

وانصرف غليوم الثاني وولي عهده ومضيفه وغير واحد من رجال الحاشية الى ما جاؤوا له من الصيد والقنص وبقيت انا اقلب اكداساً من الرسائل كان قد حملها البريد القادم من برلين قبل ساعتين . حتى اذا قارب الظهر اقبل الدكتور وولرتون فاذا هو رجل قصير القامة ضخم اجش الصوت ، يحبو الى الستين ، اصلع الرأس وعلى عينيه نظارتان ذهبيتان كبيرتان فأحلته الى قيم القصر . فلما كانت الساعة الثالثة قرع عليّ الباب قرعاً خفيفاً فالتفت فاذا امامي صاحبة المنزل في ملابس على بساطتها بالغة الغاية من التأنق . ولكن وجهها كان شاحباً بادي الاضطراب . واستأذنتني بالدخول فبدت لي في صوتها رعشة ، ولم تكن هذه اول مرة تجاذبنا اطراف الحديث ، ثم قالت لي بالفرنسوية وبصوت خافت قبل أن يتهيأ لي أن انهض لتحيتها : جئت يا كونت التمس معاونتك في ما انا فيه من الجزع لعلمي انك صديق لزوجي . فقلت : ولك ياسيدتي . ثم قدمت لها كرسياً واستأنفت حديثها بلسان متلعثم مضطرب فقالت : ان زوجي قد ذهب للقنص مع الامبراطور . وأخشى أن يصيبه سوء

فقلت لها وانا لا أزال واقفاً امامها لست افهم يا سيدتي ما تعنين . فقالت ان

زوجي الذي اخلصت له الحب قد خدم الامبراطور اجل الخدم . وانت تعلم يا كونت ما يرمي اليه غليوم الثاني في الحقيقة في تركيا . على اني في خلال الستة الشهور الماضية قرعت سمعي احاديث شتى فعرفت منها الحقيقة على علاتها . ومما علمته ان غليوم الثاني لما ذهب الى الاستانة ليخطب مودة سلطانها وفي معيته الاستاذ فامبري بصفة ترجمان انما كان يرمي الى اكراه السلطان عبد الحميد على ان يتنازل له، في مقابل بعض سلفيات او قروض، عن الجواهر الثمينة التي كانت القيصرة كاترين زوجة بطرس الاكبر قيصر روسيا قد اهدتها سراً الى الصدر الاعظم في ذلك العهد ليفسح المجال للجيش الروسي ليجوز نهر بروث ويعود بالسلامة . وقد علمت ان غليوم الثاني نال من السلطان عبد الحميد هذه الحجارة الكريمة الزمردية التي لا مثيل لها في العالم وعاد بها الى بوتسدام

ثم عرفت كيف كان غليوم الثاني يضحك ، في اثناء محادثاته مع زوجي ، من اولئك الاتراك المستسلمين . وعرفت . . .

فقاطعتها بالفرنسوية ايضًا قائلاً : عفواً يا سيدتي . فهل ترين من حسن الفطن التنويه على هذه الصورة باسرار الامبراطور ؟ ان زوجك قد أخطأ — ولا مؤاخذة — بمكاشفته اياك بمثل هذه الشؤون . فقالت اني زوجته يا كونت ولا يكتم عني شيئًا

فقلت اسمحي لي ياسيدتي ان اقول لك ان انتقاد سياسة الامبراطور او المناقشة فيها ليس من شأن زوجك وهو احد موظفيه ولا من شأنك أنت . فقالت لا أجهل ذلك ، وهذا ما اهاب بي الى المجيء اليك ، وأنا اعرفك صديقًا لي ولزوجي لاستشيرك . فاني اشعر اننا نستهدف في هذا اليوم لخطر عظيم فقلت وكيف ذلك قالت لقد عرف الامبراطور اني اطلعت على سره . فكان ذلك مدعاة لسخطه عليّ فقلت ومن قال لك هذا قالت صديق لي فيه كل الثقة . فقلت وهل حدثت احداً بسر هذه الجواهر قالت زوجي فقط فقلت بئس ما فعل زوجك بمكاشفته اياك بمثل هذا السر .

ثم اطرقت هنيهة مفكراً وقد راعني حرج موقفها ووددت ان امدّ اليها يد المعونة بعد التجائها اليّ فقلت لها : اذا كنت تعدينني بكتمان السر كتمانًا مطلقًا

غليوم الثاني في بزة فرقة الحرس

وتناسي هذه المسألة كأنها لم تكن وتأخذي على نفسك العهد الوثيق بين يدي الامبراطور بأن تحرصي على كتمان هذا السر حرصك على روحك التي بين جنبيك فاني أعدك بان اساعدك بكل ما يصل اليه وسعي فقالت كل ما تشير عليّ به مقضي فقلت لها اذن دعي أمرك اليّ واتكلي على الله

فانصرفت مطمئنة بعض الاطمئنان ، وبقيت أنا لما بي من الاشجان

في مساء هذا اليوم نحو الساعة العاشرة دخل عليّ الامبراطور وقال لي بصوت خشن ادعُ لي السيدة كليست ومتى احتجت اليك ناديتك . فكدت اكذب اذني لما سمعت . فاني لم اكن اتوقع قط ان تكون العجوز على قيد خطوات مني . ثم ارسلت احد الخدم يبحث عنها فلم تلبث ان اقبلت وكان بينها وبين الامبراطور حديث مستفيض ،

ثم بصرت بطبيب اوغسبورغ وهو على احر من الجمر في انتظار دعوة الامبراطور اياه . على انه لم يطل انتظاره فان احد خدم غليوم الثاني وافاه يدعوه في تلك الساعة فزاد ذلك في دهشتي وطفقت اتساءل قائلاً هل كانت دعوة الامبراطور لهذا الطبيب الذي لم يكن يعرفه احد في البلاط مقصورة على استشارته على مرأى ومسمع من تلك المرأة الداهية ؟ ثم ما غايته من ذلك يا ترى

ثم كنت علمت من جهة اخرى ان ذلك الطبيب انما كان اختصاصياً في الامراض العقلية وله في هذا الباب شهرة بعيدة فلم ازدد الا انشغال بال

ولما اجتمعت بالامبراطور بعد ساعة قال لي من اول وهلة غداً الظهر نعود الى بوتسدام فانا على غير ما يرام وقد اشار عليّ الطبيب بالعودة .

فانحنيت وظللت صامتًا هنيهة . ثم رفعت رأسي وقلت هل تأذن لي جلالتكم بكلمة في مسألة هامة ؟ فقال أية مسألة فقلت مسألة الاستانة . فان السيدة ريتشل سقطت على شيء مما جرى من المفاوضات وقد اعربت لى عن رغبتها في المثول بين يدي جلالتكم فتقسم بأحرج الايمان انها ستحرص على كتمان السر ما بقي فيها رمق

فقطب غليوم حاجبيه وبدا الغضب في وجهه ثم صاح : يمين امرأة هيهات . فانا لم يخطر لى في حياتي ان قوة بشرية تستطيع ان تمسك لسان امرأة . ولا سيما متى كانت هذه المرأة تنتمي الى عنصر هو اعدى اعدائنا الينا . واني اقدر يا كونت استقامتك وحدة ذهنك ، وقد اتصل بي منذ حين الامر الذي تكاشفني الآن به واتخذت تحت طي الخفاء التدابير التحوطية الواقية . ولكن احرص على ان يظل هذا الامر بيننا . وكن كأنك لم تسمع ولم تبصر . فانا الامبراطور وأنت أحد ضباطي وليس لديّ غير هذا لاقول لك . فليس من شأن النساء ان يتدخلن في شؤوننا السياسية الا اذا كنّ يعملن في سبيل اعلاء شأن وطننا ، هذا كل ما اوصيك به واظن ان فيه كفاية

بعد عشر دقائق غادرت الامبراطور وجزت أروقة مستطيلة الى غرفتي وأنا لا أدري ان مأساة من أشد ما سطر التاريخ هولاً كانت تجري في ذلك القصر

البرنس هنري البروسوي شقيق غليوم الثاني

وفي اليوم التالي غادرنا القصر . على اننا قبل مغادرته سمعنا ان ربة المنزل اصيبت في تلك الليلة بوعكة فجائية وان غليوم الثاني ارسل اليها طبيبه للعناية بها . ثم بصرت بزوجها مودعاً للامبراطور فقرأت في وجهه دلائل الجزع الشديد فأيقنت ان ما اصاب زوجته ليس مما يدعو الى الطمأنينة . فشد ما كان ارتياعي بعد عودتي الى برلين حين قرأت ما كتبته جريدة ستات انزيجر في وصف ما اصاب زوجة مدير البنك الالماني في الاستانة ، فقالت ان المرأة التي كانت قد نابتها حمى شديدة بدت منها امارات اضطراب دماغي لا أمل في شفائها منه حتى لم يكن بد من الحجر عليها في مستشفى المجانين في روزنو على مقربة من كوبورغ

واذ ذاك تراءت لي الحقيقة على علاتها ، وأدركت ان الطبيب الاختصاصي في الامراض العقلية والمرأة الداهية انما كانا آلتين في يد غليوم الثاني للوصول الى تلك النتيجة الرهيبة

اما الوعكة السرية التي اصابت المرأة على حين غرة ثم لم تلبث ان تحولت الى جنون مطبق فانما كانت مصطنعة بضرب من ضروب الحقن تحت الجلد ، وانها انما كانت وسيلة انتقام غليوم الثاني من تلك المرأة التعسة التي كان كل ذنبها اليه اطلاعها على اسرار سياسته ذات الوجهين في الشرق فقضى عليها ان تدفن حية داخل اسوار ذلك المستشفى . فما عتمت أن قضت نحبها في بدء سنة ١٩١٣ على اثر نوبة قاتلة . اما زوجها الذي كان يحبها حبًا يكاد يكون عبادة وقد خدم سياسة مولاه بكل ما أوتي من الدراية والحذق فدعي بعد حين الى برلين وعزل من منصبه فقضى مغضوبًا عليه بعد مصرع امرأته بستة شهور منكسر القلب والخاطر ، وظل الى أن فاضت روحه الى خالقها جاهلاً حقيقة المأساة الفظيعة التي جرت ضمن جدران قصره وفوق كل ذي علم عليم

oberkandl.com

الفصل الثلاثون

غليوم الثاني سياسياً

تصريحاته السلمية — احاديثه المتطرفة

تاريخ غليوم الثاني السياسي تضيق عنهُ المجلدات الضخمة . بيد ان هذا لا يجب أن يمنعنا عن الاتيان بلمحة في وصف صاحب هذه الترجمة من الوجهة السياسية وهي من صفاته الاساسية فنبين بوجيز العبارة ماذا كان مذهبه السياسي في اول عهده ، حين كان لا يتحدث الا في ان يضمن لامته سلاماً وطيد الدعائم متين الاركان ، ثم ما كان بعد ذلك من تطور هذه السياسة الى ان استهوته المطامع فطمحت به النفس الى ان يكون الحكم المحكم في السلام والحرب

نشأ غليوم الثاني نشأة حرة منذ طفوليته بفضل ما كان لأُمه وهي انكليزية من نفوذ على أبيه الذي كان في حلمه وطيبة خلقه مضرب المثل . ثم كان في مدرسة كاسل تحت رعاية هنز بتر وهو الماني قح صليب العود ، ومما ذكر عن الامير الصغير قوله « انهُ كان حريصاً على الدوام على ان يظل مستقلاً بحكمه و بعواطفه في أي موقف كان »

وفي الثامنة عشرة من عمره كاشف استاذه الفرنسوي في كاسل بالامنية التي كان يحلم بها الا وهي « ان يرى الدولتين فرنسا والمانيا متآخيتين متصافحتين » وقد قال : « ان هاتين الامتين كانتا تأتيان بالمعجزات متحدتين ، فتكونان صاحبتي السيادة في العالم وتكبحان جماح الامم ذات المطامع التجارية . . . واذا استخدمتا ما أوتيتا من المواهب السامية في سبيل اقامة العدل والرقي الاجتماعي ، فان الانسانية تسير في سبيل المدنية بخطوات جبار . وتكون هذه السياسة اكثر فائدة وادعى الى الفخر من سياسة الضغينة والحقد التي تتأكل كل ما لدينا من قوة على غير طائل »

ثم كانت المشاغبات البولانجية [١] في فرنسا بين ١٨٨٦ و ١٨٨٧ فتذرع بسمرك بها لتعضيد الجيش ، وشهد البرنس غليوم المناقشات وسمع في مجلس الراشستاغ خطاب الرجل الحديدي الذي قال فيه : « نحن الالمان نخشى الله ولا نخشى احداً سواه » فبدأت منذ ذلك العهد تتنازع ذلك الفؤاد الغض العوامل المتباينة

ومهما يكن من الامر فان غليوم الثاني كان لاينفك في اوائل عهده ينتهز كل فرصة للتنويه بنزعاته السامية . فمن ذلك ما جاهر به في حديثه مع العلامة جول سيمون يوم جاء برلين فقال :

« لقد فكرت مليًا منذ تسنمت العرش فرأيت في الاحوال التي تتحوطني ان سياسة الرفق خير لي وابقى من سياسة الارهاب والعنف . واني لأعتبر اي رجل يسعى الى انزال امتينا الى ميدان القتال رجلاً احمق وجانيًا . . . »

ثم لما احترق سوق الشفقة في باريس سنة ١٨٩٧ أرفق تلغرافه الى الحكومة الفرنسوية بعشرة الاف مرك للمنكوبين . ووهب عشرة الاف أخرى لمنكوبي الزلازل في المرتنيك . فقال مداعب فرنسوي بمناسبة هذه الهبات : ببضع مئة كارثة من هذا النوع يرد لنا غليوم الثاني الخمسة المليارات التي سلبنا اياها بسمرك »

وشهد الجنرال بونال الفرنسوي ورئيس اركان حربه التمرينات العسكرية الروسية قبل عام فدعاهما غليوم الثاني لشهود تمرينات مشاة الحرس والقى على الطعام النخب الآتي:

« نال هذا اللواء اليوم فخراً خاصًا ، اذ اتيح له ان يحتفي باثنين من خيرة ضباط الجيش الفرنسوي . وهذه اول مرة – منذ قاتلت الجيوش الالمانية والفرنسوية جنبًا الى جنب عدواً مشتركاً بوفاق تام وتآخٍ في السلاح فللضابطين ولجيشهما نهتف : هورّا ، هورّا ، هورّا

بيد ان السياسية الامبراطورية ما لبثت ان تطورت تطورها المشهور باتهاج

---

(١) جورج بيرنجه قائد فرنسوي كان وزير الحربية في سنة ١٨٨٦ وكانت له مشاركات في دسائس سياسية مشهورة . وقد قضى نحبه منتحراً في بروكسل (١٨٣٧ — ١٨٩١)

« السياسة الكونية » التي كان الداعي اليها انصار الجامعة الجرمانية . وهي ترجع الى سنة ١٨٩٥ فلم يسع غليوم الثاني الا ان يسير مع التيار فقال في خطبة افتتاح ترعة كيال : « اصبحت الامبراطورية الالمانية اليوم امبراطورية كونية . ففي كل صقع من البلاد السحيقة الوف من الالمانيين مواطنينا . فلقد جازت الحاصلات الالمانية والنشاط الالماني البحار . فساعدوني في هذه المهمة الخطيرة والواجب الاكبر الا وهو ان اجعل الرابطة التي تجمع بين هذه الامبراطورية الالمانية الواسعة والوطن وثيقة العرى »

واول ما ظهرت به هذه السياسة الجديدة مناهضة ما كان يدعوه غليوم الثاني « تأمرك العالم » اي تجنسه بالجنسية الاميركية . فاتقاء لهذا الخطر اقترح في حديث له مع رهط من السياح الفرنسويين في اثناء وليمة اقامة حصار جمركي على الولايات المتحدة شبيه بالحصار البحري الذي حاوله نابوليون ضد انكلترا . واتصل خبر هذا الحديث بالحكومة الاميركية فقامت له وقعدت . وكانت النتيجة ان الحكومة الالمانية تنصلت من تبعة حديث امبراطورها

وتلا ذلك الخطران الاصفر والاحمر ، اي نهوض الشعوب الاسيوية الصفراء وانتشار الفوضوية . صرف لهما غليوم الثاني ردحًا من الزمن عناية خاصة . ثم راحت التدابير التي تصورها ادراج الرياح

اما احاديث غليوم الثاني التي كانت تضطر الحكومة الالمانية ان تتنصل من تبعتها (كما جرى في الحديث السابق) فكثيرة نقتصر منها على اثنين :

الاول حديث نشرتهُ الديلي تلغراف وزعم غليوم فيه انه هو واضع الخطة الحربية التي جرى عليها القواد الانكليز في حرب البوير . ولا بأس في ان نلم بهذا الموضع بالسبب الذي افضى الى المجاهرة بذلك الحديث

تقدمت الحرب البويرية التي انتهت باستيلاء انكلترا على جمهوريتي الترنسفال واورنج غارة على بلاد جنوبي افريقيا تولاَّها انكليزي يدعى جمسون . هذه الغارة كان مصيرها الى الفشل ، فلم يكد يتجاوب صدى فشلها في اوربا حتى اسرع غليوم الثاني فارسل الى الرئيس كروجر رئيس حكومة الترنسفال يومئذ تلغراف تهنئة صاغ

فيـه اجمل عقود الاماني لاستقلال الترنسفال [١] . فأحفظ مسلك الامبراطور الانكليز حتى قيل ان ذلك التلغراف كان فاتحة نفور شديد بين انكلترا والمانيا كما كان من أهم أسباب الاتفاق الولائي الذي جمع بين انكلترا وفرنسا . ثم تداولت الايام وكانت الحرب الترنسفالية التي انتهت بفوز الانكليز بعد ان لقوا كل شدة في قتال اولئك الخصوم الشجعان . ورأى غليوم الثاني ان مصلحته في استرضاء الانكليز فذكر في حديث مع مراسل جريدة الديلي تلغراف انهُ هو واضع الخطة الحربيـة التي اكسبت الانكليز النصر . وانه كان قد بعث بها الى الملكة فكتوريا في شهر دسمبر سنة ١٨٩٩ . هذا الحديث اقام عليه القيامة في انكلترا ثم في المانيا وهولندا اما في الأُولى فلأن الانكليز اعتبروا مساساً بكرامتهم ان يقال انهم بعد انكساراتهم الاولى المتواليـة لم يكن ليتسنى لهم الفوز لولا اقتباسهم الخطة التى اكسبتهم الظفر عن نابغة الحرب غليوم الثاني . واما في هولنـدا والمانيا فلعطف الشعبين على الامة البويرية الضعيفة

والثاني حديث مع صحافي اميركي لو أذيع لكان اسوأ مغبة من الحديث الاول فان غليوم اتهم هذه المرة انكلترا بخيانة الرابطة الاوربية وخيانة السلالة البيضاء بمحالفتها اليابان زعيمة العنصر الاصفر (متناسياً ما كان هو نفسه قد بدأ به من المفاوضات مع حكومة الميكادو بقصد عقد معاهدة) وعرف خبر هذا الحديث قبل ذيوعه فأعطي الصحافي الاميركي مبلغاً كبيراً من المال فلم ينشره

وكان هياج الرأي العام عظيماً في المانيا على الخصوص حتى ارتفعت الاصوات ضد الامبراطور وضد مستشاره دي بيلوف وقالوا : لا نريد ان يكون السـلام أو الحرب – او ان تكون سـلامة امة برمتها تحت رحمة دماغ ضعيف ولسان مهذار . لا نريد استبداداً . وليسقط دي بيلوف

---

(١) بعد انكسار البوير وافى رئيسهم كروجر ، وهو شيخ فانٍ يناهز الثمانين يستنصر الدول الاوربية فأبى غليوم الثاني صاحب ذلك التلغراف ان يقابله . . . وقضى المسكين نحبه طريداً في سويسرا سنة ١٩٠٤

ولم يستطع الامبراطور الاحتفاظ بمستشاره الا بعد ان اخذ على نفسه عهداً بأن لايذيع مرة اخرى احاديث طائشة .

وهكذا اعتبر غليوم الثاني في قلب عاصمتـه فتى مهذاراً وهدد اذا لبث « غير عاقل » بتعديل في الدستور يجعل سيطرته فخرية اكثر منها حقيقية . لاسيما ان الحوادث المتقدمة تخللتها فضائح اولانبرغ والازمة المراكشية فزادتا في طينـة هياج الرأي العام بلة

وحاول غليوم الثاني استعادة سيطرته وتحويل الرأي العام الى وجهـة أخرى فافتتح اكتتاباً لمساعدة الطيار زيبلن – وكان لايزال في اوليات تجاربه – ثم وعد أن يكون هو اول الصاعدين في الطيارة . ولكن لم يجده هذا كله نفعاً . فان الالسنة كانت قد انصرفت الى نقد كل حركة يباشرها حتى انتقدوا سعيه الى بيع قصوره وهي ملك شخصي له . وانتقـدوا اسرافه في الانفاق على قصر الاخيلاّون الذي اقتناه في جزيرة كورفو اليونانية . واتهموه بالاستسلام لحاشية تخادعه وتهزأ به فكان من جراء ذلك ان تمارض ولزم قصره ردحاً من الزمن

ونختتم هذا الفصل بكلمة قالها غليوم الثانى لصديق له من الفرنسويين كان من المترددين على المائدة الامبراطورية وذلك بمناسبة انفصال نروج عن اسوج . قال غليوم : لم تعد الحال اليوم كما كانت عندكم في سنة ١٧٨٩ (اي لم يبقَ من حاجة الى الثورات لقلب العروش واسقاط من عليها . بل ان هذا الامر يتم الآن بكل سكينة وطمأنينة . تؤخذ صفحة بيضاء وتقدم الى الملك ثم يقال له : ياصاحب الجلالة نلتمس من جلالتكم ان تنصرفوا عنا بسلام وتدعونا وشأننا . التوقيع « الشعب » وهكذا ينقضي الامر

فهل تذكر غليوم الثانى كلمته هذه يوم اخذ صفحة بيضاء ووقع عليها تنازله عن العرش ثم قدمها الى « ممثـل الشعب الالمانى » وانصرف عنه بسلام الى منفاه في هولندا